

# رحلۃ جاسمین

تألیف: دینا عفیفی

الطبعة الثانية 2022

تأليف: دينا عفيفي

dinam0afifi@hotmail.com

مراجعة وتدقيق: عبد الناصر السيسي

رقم الإيداع: 19042 / 2022

الترقيم الدولي: 978.977.86152.4.1

تصميم الغلاف: ريم حسين

Copyright © 2022 Dina Afifi  
All rights reserved

## شكر وتقدير:

بدايةً أحب أن أتوجه بالشكر إلى زوجي أيمن الطنطاوي الذي دائماً ما يلهمني عمله في مجال ذوي الإعاقة، كما أود أن أتوجه بالشكر إلى الأستاذة/ يسرية مصطفى محمد مدير برامج تأهيل الأشخاص ذوي الإعاقة بالمركز التعليمي لنظم معلومات المنطقة الجنوبية العسكرية في محافظة أسيوط؛ على ما وجهته لي من نصائح مستمرة فيما يخص الإعاقات البصرية، وكذلك الأستاذ/ معتز الهادي مدرب الحاسب الآلي للمكفوفين؛ على ما وجهه لي من نصح بخصوص القصة، وأحب كذلك أن أشكر فتيات مدرسة النور للمكفوفين وشخصياتهن الملهمة.

## الفصل الأول

- أمي، أريد أن آخذ هذا العِقدَ اليومَ لأرتديه، هل لديكِ مانع؟
- لا يا حبيبتي، سيكون شكله رائعًا عليكِ.
- أكيد، أنا متأكدة من ذلك.

كانت هذه محادثةً معتادةً بين جاسمين ووالدتها، ولم تكن والدَةُ جاسمين تمنع في أي طلب تطلبه منها، ولم تكن ليلي والدَةُ جاسمين مقتنعةً بطلب جاسمين، لكنَّ شيئًا ما كان دائمًا يدفعها لِأَنْ تَلَبِّي كل ما تطلبه ابنتُها الغاليةُ جاسمين، خاصة في الوقت الحالي.

مَضَى تقريبًا 11 عامًا وجاسمين بمفردها طَوَالَ الوقت، تنال ما تنال من اهتمام أمها ليلي وأبيها محمد، وذات مرةٍ اكتشفت ليلي أنها حامل، فشعرت بتأنيب الضمير وانتابتها حالة من الرعب على ابنتها جاسمين، فهي لا تدري كيف سيكون وَقَع هذا الخبر عليها وكيف ستكون نفسيتهَا، فقد اعتادت جاسمين دائمًا على ألا يرد أحدٌ لها طلبًا، واعتادت على أن يكون اهتمام والديها منصبًّا عليها وحدها دون غيرها طوال هذه السنوات.

- مسكينة يا جاسمين!

هكذا حدثت ليلى نفسها، فهي لا تتوقف عن التفكير في كيفية إيصال هذا الخبر البعيد تمامًا عن البال إلى جاسمين.

دخلت جاسمين إلى غرفتها بعد أن أخذت العِقْدَ من أمها، فارتدته، وخلعته، ثم ارتدت ملابس ألوانها تليق على العِقْد، وارتدته مرة أخرى، ثم وقفت أمام المرأة طويلاً، تستدير أمامها يميناً ويساراً محاولةً أن تتأكد كيف أن شكلها أصبح كما تريد تماماً.

- شكلي رائع! سوف تشعرُ منهُ وَجَنَى بِالغَيْرَةِ بسبب هذا العِقْد الثمين.

كانت جاسمين على موعد مع صديقتيها منةً وجنى، فسوف تتوجه إلى منزل جنى وتلحق بهما منةً لتقضي الفتيات طوال اليوم معاً، فهذه هي العُطلة الصيفية، وبما أن الوقت لم يحنْ بعدُ للسفر لقضاء العُطلة في المصيف المعتاد، اعتادت البنات أن تتقابلن بشكلٍ دوري في منزل إحداهن، وهذه المرة الدور على جنى التي سوف تستضيف الفاتنتين في منزلها.

تأهبت جاسمين للخروج، ونظرت في المرأة نظرةً متفحّصةً أخيراً قبل أن تودّع أمها بقُبلةٍ على وَجَنَتَيْهَا.

- وداعاً يا أمي. من الممكن أن تحادثيني على هاتفي إذا أردتِ مني شيئاً.
- حسناً يا بنيّتي.
- وداعاً!
- وداعاً! استمتعي بوقتك وأبلغني تحياتي لوالدة جنى.

- حسنًا يا أمي.

نزلت جاسمين من سُلّم البِنَايَةِ التي تسكن بها لتجد السائق الخاص في انتظارها، إنه عم مصطفى الذي يحبها كثيرًا مثل ابنته، صحيح هو يدرك كم هي مدللة، لكنه يحبها جدًّا؛ لأنه يرى فيها بنتًا طيبةً.

- مرحبًا يا عم مصطفى، كيف حالك؟

- الحمد لله يا ابنتي، كيف حالك أنتِ؟

- بخير الحمد لله.

- إلى أين تذهبين اليوم؟

- إلى منزل جني، هل تتذكره يا عم مصطفى؟

- نعم، أتذكره جيدًا. هيا بنا.

انطلقت السيارة وأخذ ذهن جاسمين يسرح بعيدًا، تشعر جاسمين بتغيُّرٍ ما تجاه أمِّها، فلديها إحساس قوي أن هناك خبرًا يخفيه أبوها وأمُّها عنها، غير أنها لم تستطع أن تصل إلى استنتاج أن أمها حاملٌ بطفلٍ آخر، لكنها فكرت في هذا الأمر.

- أيعقل أن تكون أمي حاملًا؟ لا لا. لا أعتقد، فأمي شارفت على الأربعين

عامًا، وأظن أن سنِّها لا يسمح بذلك. لا أدري. لم أر أن أيًّا من أمهات

صديقاتي حَمَلْنَ في مثل هذه السن، فمثلًا جني لديها شقيقتان أكبر منها

وهي الصغرى، وأمهن عمرها حاليًا 39 عامًا، وكذلك منة، أمُّها لم تتعدَّ

## رحلة جاسمين

الأربعين وأنجبت منة وأخاها الأصغر الذي يبلغ من العمر حاليًا تسع سنوات، ويُحِيل حياة منة جحيماً، فهو وُلدَ لا يُطاق من وجهة نظر جاسمين.

"لكنُ هناك حتما ما يخفيه أبي وأمي عني، كيف يمكن أن أكتشف ما الذي يدور من ورائي؟ أتمنى فقط ألا تكون أمي مريضة. يا رب. لا لا. لا يمكنني تخيُّل هذا. لا يمكن أن تكون مريضة"، هكذا أخذت تفكر جاسمين.

كانت جاسمينُ مستغرقةً بشكلٍ كاملٍ في أفكارها، ولم تفقُ إلا على صوتِ عم مصطفى وهو يناديها.

- جاسمين، جاسمين، وصلنا يا ابنتي.
- ماذا تقول يا عم مصطفى؟
- وصلنا.
- نعم، نعم. شكرًا جزيلاً.
- متى تريدان أن آتي لأخذك لأعيدك للمنزل؟
- لا أدري يا عم مصطفى، سوف أتواصل معك لأبلغك.
- حسناً.

صعدت جاسمين إلى شقة جنى في الطابق الثاني من البناية التي تسكن بها، ولم تنس أن تنظر في المرآة الموجودة في رُدهة البناية وهي تمر بجوارها لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام، وأن شعرها مهندمٌ وملابسها فائقةُ الأناقة، فهي من

## رحلة جاسمين

ذلك المتجر العالمي الشهير، الذي يحوي الملابس الفاخرة، صحيح أن أمها لا تُوافق على كل اختياراتها، لكن أهم شيء أن صديقاتها سوف يحببن هذه الملابس، وسيسألنّها عن المكان الذي اشترتها منه.

فتحت جنى الباب، ورحبت بجاسمين كثيراً.

- كيف حالك يا جاسمين؟ ما هذه الأناقة؟ ادخلي لتخبريني بكل التفاصيل.
- هل وصلت منة؟
- لا لم تصل بعد. هيا ادخلي.

سلمت جاسمين على والدة جنى، ورحبت الأم بالضيفة.

- أهلا بك يا جاسمين، كيف حالك؟
- بخير يا "طنط".
- وكيف حال ليلي؟ هل صحتها بخير؟
- نعم الحمد لله.
- وكيف حال الحملِ معها؟ أتمنى أن تكون صحتُها على ما يرام.

شعرت جاسمين في هذه اللحظة أن الأرض تميدُ بها، وأنها على وشك أن تسقط من الصدمة، وحدثت نفسها أنه إذا ظهر عليها أنّها لا تعرف فسيكون شكلها سيئاً، فقررت في لحظتها أن أفضل شيء أن تتظاهر بأنّها تعرف الخبر، وأنها لم تُفاجأ، وكل شيء سيسير على ما يرام.

- نعم يا "طنط"، هي بخير الحمد لله. ادع لها أن تقوم بالسلامة.

| حلة تاسعة

## الفصل الثاني

لاحظت جنى أن صديقتها ليست على ما يرام، أخذتها ودخلتا الغرفة على الفور،  
وبادرتها بالسؤال:

- مالك يا جاسمين؟ شكك غير طبيعي، ما الأمر؟
- لا أبداً. أنا بخير. لا توجد أي مشكلة.
- هل أنت متأكدة؟
- نعم، نعم. لا تقلقي.
- لماذا لم تخبريني أن طنط ليلي حامل؟
- ماذا؟ لم أخبرك.. لم أخبرك لأن.. لأن الخبر ليس مهمًا.
- ليس مهمًا؟
- نعم، عادي. إنه خبر عادي.
- عادي؟ حسناً كما ترين.

لكنه في الواقع لم يكن بالخبر العادي على الإطلاق بالنسبة لجاسمين، فقد شعرت بغصة كبيرة ومرارة هائلة، كيف لم تخبرها أمها حتى الآن؟! وكيف تعرف الخبر من أم جنى؟!!

- جاسمين.. هل أنتِ معي؟
- نعم.. أنا معك يا جنى.
- أخبريني إذاً؟ من أين هذه الملابس الرائعة؟

- لقد طلبتها لي والدتي "أونلاين" بعد أن أَلَحْتُ عليها، لقد كانت رافضةً في البداية، لكنها وافقتني في النهاية كالمعتاد.
- نعم، ظننتُ هذا؛ لأنني لم أرَ مثل هذه الملابس والألوان هنا من قبل، حتى متاجر "الماركات" العالمية في الأسواق التِّجارية، لم أرَ فيها هذه مثل هذه "الموديلات" وهذه الألوان.
- نعم، في الحقيقة لم تكن تعجبني.
- أريد أن أقول لك شيئاً قبل أن تصل منةً.
- ماذا؟
- هل علمتِ ما الذي حدث معها من صديقاتها في فريق كرة السلة في النادي؟
- لا، ما الذي حدث؟
- تخيلي، اتفقت عضوات الفريق على أن يخرجنَ معاً بعد آخر مباراة في الدوري، ولم يخبرنَ منةً، أتخيلين؟
- يا إلهي!! وكيف كان وقع ذلك على منة؟ لم تخبرني هذه الجبانة بما حدث.
- طبعاً كانت حزينةً جداً.
- لأنني أخبرتها ولم تسمعَ كلامي، أخبرتها أنهن لا يحببُنَّها ويعرَنَ منها لكنها لم تكثرث بكلامي، عموماً لا أحب أن أراها حزينةً، وأتمنى ألا تكون حزينةً بش...  
حزينةً بش...

فتحت منةً باب غرفة جنى ووصلت، بينما كانت الفتاتان تتحدثان عنها.

- أهلاً بكما، كيف حالكما؟

ردت عليها جاسمين: "أهلاً بكِ أنتِ".

- لَدَيَّ شعور دفين أنكما كنتما تتحدثان عني، أليس كذلك؟

قالت لها جنى: "بصراحةٍ بلى"، فكرت جنى جيداً قبل أن تَرُدَّ، فربما تكون قد سمعت ما كانتا تقولاه قبل أن تدخل، فإذا كذبت عليها سيزداد الوضع سوءاً.

- ماذا كنتما تقولان عني إذًا؟

- كنت أحكي لجاسمين هذا الموقف السخيف بخصوص فريق كرة السلة.

- نعم، هو موقف سخيفٌ فعلاً، لكن عموماً كان هذا خطأي؛ فقد كنت مخطئةً لأنني كنت أظن أنهن صديقاتي، واتضح أنهن لسنَ كذلك.

- لا عليكِ يا منةً. حاولي أن تتسّبي. عموماً نحن أصدقاء العُمرِ، نحن بجوارك ولن نتخلّى عنكِ أبداً.

أمضت الفتيات وقتاً طويلاً حتى حلَّ المساء، وكن يتجاذبن أطراف الحديث في كل شيءٍ: الموضة، ومسلسلات التلفزيون الأجنبية، والأفلام الأجنبية، والأغاني الأجنبية، صديقات المدرسة، صديقات النادي، ... كل شيء، لم يتركن أحداً إلا وتحدثن عنه.

فجأةً، قالت جنى لمنة:

- هل عرفتي هذه الأنباء؟ جاسمين لن تكون طفلةً وحيدةً بعد الآن؛ فـ"طنط" ليلى حاملٌ، وسوف تأتي بأخٍ أو أختٍ لجاسمين، وسترى كيف يكون الحال مع الإخوة.

- ماذا؟ ما هذه الأنباء الغريبة؟ ولماذا لم تبلغينا يا جاسمين؟  
- عادي يا منة، لماذا يا جنى الإصرار على الكلام في هذا الموضوع؟ ليست قصةً كبيرةً وليس نبأً مهمًّا. لا يهمني هذا الخبر أصلاً.

سألتها منة: "حقًا؟ هل الخبر فعلاً لا يهمك؟"

أجابتها جاسمين: "نعم بالطبع، لا يهمني. حدّث لي منةً لهذا لم أبلغكما."  
تبادلت جنى ومنة النظرات وبدا عليهما عدمُ الاقتناع بما تقول جاسمين، لكنهما لم تحبّا أن تضغطا عليها أكثر من ذلك.

حان وقتُ الرحيل، اتصلت جاسمين بعم مصطفى وطلبت منه أن ينتظرها تحت منزل جنى، وأن "يرن" على هاتفها عندما يصل، أما منة فقد وصل والدّها بالفعل، لكنها كانت تريد أن تنفرد بجنى بعد أن ترحل جاسمين.

أخيرًا وصل عم مصطفى فودعت جاسمين الفاتنتين وسلمت على والدّة جنى، ونزلت سلم البناية محاولَةً أن تحبس دموعها، لقد كانت تشعر أن وجهها يفيضها، وأنه أصبح يشبه آنية الطهي التي تعمل بالضغط، وأن كل ما تفكر به وتشعر به أصبح واضحًا تمامًا بمجرد نظرةٍ سريعةٍ إلى وجهها.

بعد أن نزلت جاسمين، قالت منة لجنى:

## رحلة جاسمين

- هل تصدقين فعلاً أن جاسمين لا يهمها هذا الخبر؟ أنا متصورة أنها سوف تحيل حياة والديها جحيماً. لا أظن أن مثل هذا الخبر سيمرُّ مرورَ الكرام.
- أنا فوجئت بهذا الخبر، وهي لم تقل لي شيئاً، أمي هي من كانت تعلم ولم تخبرني، فسألت جاسمين عن صحة والدتها أثناء الحمل، ولا أدري إن كانت جاسمين تعرف فعلاً أم لا.
- سنرى، كلُّ شيء سيتضحُ بمرور الوقت.

وصلت جاسمين إلى السيارة ووجدت عم مصطفى في انتظارها، وفتحت الباب وما أن رآها حتى بادرها بالسؤال:

- مالك يا ابنتي؟ تبدين حزينةً جداً.
- لا شيء يا عم مصطفى. أنا بخير.

بدأ عم مصطفى في الانطلاق بالسيارة؛ لأنه تلقى اتصالاً هاتفياً من ليلي تطلب منه أن يأتي في أسرع وقتٍ؛ لأن الوقت قد تأخر وهي قلقةٌ كثيراً على جاسمين، فكان يتحدث مع جاسمين وينظر لها تارةً من مرآة السيارة وتارةً يستدير لينظر إليها وهو يحدثها.

- هل أنت متأكدة؟ كنتِ فرحةً جداً صباحاً، والآن، ما الذي حدث؟ هل تعاركتِ مع صديقاتك مثلاً؟
- لا شيء يا عم مصطفى، صدقني.
- حسناً يا ابنتي. كما ترين. كنت فقط أريد أن...

ثم وجدت عم مصطفى يضغطُ على مكابح السيارة محدثةً ذلك الصوت المدوي الذي يدل على وجود خطرٍ محددٍ أو وقوع كارثةٍ، لم تكن جاسمين تدري ما المشكلة، لكنها كانت تشعر بخوفٍ بالغٍ، اهترتُ بعنف بمقعدها الخلفي الذي كانت تجلس عليه، وارتطم رأسها بمقعد عم مصطفى، وتوقفت السيارة تمامًا، تأكد عم مصطفى أولاً أن جاسمين بخير، ثم فتح الباب مسرعًا ليتأكد أن الفتاة التي كاد يدهسها بخيرٍ.

"أنا آسف جدًا يا بُنتي، الخطأ خطأي، لم أكن منتبهًا للطريق"، هكذا تحدث عم مصطفى بفرعٍ شديد وهو يمدُّ يدهُ ليساعد الفتاة التي سقطت على الأرض حتى تستطيع أن تنهض.

حاولت الفتاة أن تتمالك نفسها، وردت بصوتٍ مرتعشٍ من البكاء "الحمد لله. أنا بخير. لا تقلق. لم يحدث شيء. فقط أريد عصاي. أرجوك حاول أن تجد لي العصا."

شعر عم مصطفى بغُصّةٍ كبيرةٍ، فقد اكتشف أن الفتاة التي كاد يدهسها فتاةً كفيفةً، وهي تبحث الآن عن العصا البيضاء التي تساعدها في السير.

قال لها عم مصطفى: "نعم يا ابنتي، وجدتها، ها هي العصا، أرجوك تعالي معنا نحاول توصيلك إلى المكان الذي كنتِ ترغبين في الوصول إليه، لا تخافي يا ابنتي، معي ابنة الأسرة التي أعمل لديها سائقًا، وسوف أجلسك إلى جوارها."

كانت جاسمين تتابع بهلج كل ما يحدث خارج السيارة، بالطبع كانت تخاف أن يكون قد حدث للفتاة مكروه، وأخيراً وجدتها تنهض، لكنها لم تكن تدرك بالضبط ما المشكلة، الفكرة أنها وجدت أن عم مصطفى استغرق وقتاً طويلاً معها، وفوجئت أن هذه الفتاة سوف تركب معها السيارة، ولم تدر إن كان هذا تصرفاً سليماً من اعم مصطفى أم لا، لكن عموماً هي تثق به ولن تعترض.

فتح عم مصطفى باب السيارة الخلفي بجوار جاسمين لتجلس رقيّة، فنظرت إليها جاسمين بتعجب شديد، ولم تفهم ما مشكلتها، وما هذه العصا؟ وماذا يمكن أن تفعل عصا رفيعة لفتاة؟ لم تفهم جاسمين حقاً ولم تستوعب الوضع.

مدت جاسمين يدها إلى الفتاة لتسلم عليها قائلة:

- أنا جاسمين، مرحباً بك. قطعاً عم مصطفى لم يكن يقصد أن يؤذيك بأي حال.
- أهلاً بك. اسمي رقية.

شعرت جاسمين بالحرج؛ لأن رقية لم تمد يدها لتسلم عليها، وقررت أن تسألها عن السبب الذي جعلها لا تسلم عليها، ولا حتى تنظر إليها.

سألتها جاسمين: "لماذا لا تسلمين علي؟ أنا أمد يدي إليك؟"

ردت عليها رقية فوراً: "عذراً يا جاسمين. أنا فقط لا أراك. اعذريني."

نظرت جاسمين إلى رقية نظرة متفحصة، حاولت أن تتقدم بجلستها قليلا حتى يتسنى لها أن ترى وجه رقية، فشعرت رقية بصوت الحركات التي تقوم بها جاسمين وخبثت على الفور ما الذي يدور بذهنها، نظرت رقية في اتجاه صوت جاسمين أي إلى يسارها وقالت لها: "عذراً يا جاسمين، أرجوكِ تقبلي اعتذاري مرة أخرى." أخيراً فهمت جاسمين المشكلة، وأدركت أن رقية فتاةٌ كفيفةٌ، غرقت جاسمين في صمتٍ طويلٍ طوال الطريق، لكن كان هناك شيء ما يجذبها بشدةٍ للتعرف إلى رقية ومعرفة قصتها، وأين تسكن؟ وما سبب كف بصرها؟ لكنها كانت لسبب ما تخشى التحدث إلى رقية، لذلك لجأت إلى الصمت.

قال عم مصطفى لرقية: "يا ابنتي، وصلنا إلى المكان الذي وصفته لي بالضبط. أعتذر لك مرةً أخرى. آسفٌ يا بنيتي على كل ما سببته لك من متاعب. آسف جداً."

"لا عليك. شكراً على تعبك"، هكذا كان رد رقية.

-اسمحي لي يا بنيتي أن أسألك ماذا كنتِ تفعلين بمفردك في هذا المكان البعيد الذي يبعد كثيراً عن منزلك؟ أنتِ تسكنين في المنيل، فما الذي أتى بكِ إلى التجمع الخامس؟

-حسناً، كنت أزور أقاربي وكان من المفترض أن يأتي إليّ أخي لكنه انشغل بمشوار عاجل، فكنت سأركب سيارة أجرة إلى منزلي. شكراً جزيلاً على اهتمامك وتوصيلك لي إلى المنزل.

- عفوا يا بنيتي.

همت رقية بالرحيل، أمسكت جيّدًا بعصاها البيضاء وفتحت الباب، لكن جاسمين شعرت أن هناك شيئًا ثمينًا ستفقدّه إن لم تستغل فرصة التعرف إليها.

قالت لها: "أرجوكِ يا رقية. هل ممكن أن تعطيني رقمك؟"

ردت رقية: "نعم بكل سرور. تفضلي. هذا كارت به كل الطرق التي يمكن أن تتواصلي بها معي."

انبهرت جاسمين بالفكرة وتساءلت لماذا لا يمكنها أن تفعل هي ذلك أيضًا، فقررت أن تساعد رقية، فتحت بابها ونزلت من السيارة، ثم أسرع لتفتح الباب لرقية لكنها فوجئت برّد فعلها.

قالت رقية: "أرجوكِ يا جاسمين، لستُ في حاجة للمساعدة. أستطيع أن أتصرف جيّدًا لا تقلقي."

شعرت جاسمين بحرج بالغ من هذا الرد، ثم قالت سريعًا: "لا مشكلة. تفضلي. كنت فقط أريد المساعدة." ثم رمّتها بنظرة لومٍ شديدة على رد الفعل المرحج هذا.

- مع السلامة يا رقية. سوف أتواصل معك.

- مع السلامة يا جاسمين.

سألها عم مصطفى: "هل أنتِ متأكدة أنك لا تحتاجين للمساعدة؟"

ردت رقية: "نعم، اطمئن. هذا منزلي. مع السلامة. شكرًا على التوصيل."

## الفصل الثالث

ساعد هذا الموقف المفاجئ جاسمين في الخروج من حالة الحزن التي انتابتها منذ أن ركبت السيارة مع عم مصطفى؛ لأن كل ما كانت تفكر فيه هو خبر حمل أمها، كيف لم تقل لها؟! وكيف قررت هي وأبوها هذا الموضوع دون أن يأخذا رأيها؟! وكيف سيكون حالها عندما تلد أمها؟! هل سيتوقفان عن حبها وسيكون كل الاهتمام للمولود الجديد؟!

ما أن فارقت رقية وراقبتّها تصعدُ إلى البناية التي تسكنُ بها حتى عاودتها هذه الأفكار مرةً أخرى واستغرقت بها، فأخذت تفكر حتى كادت الأفكار تعصف بها، ولم تفق إلا على صوت هاتفها وهو يرن، فقد كانت والدتها تتصل لتطمأن عليها بسبب تأخرهما في الطريق، وقررت جاسمين أنها لن ترد لأنها قررت أن تخاصم والدتها بسبب هذه "الفعلّة" التي ارتكبتها.

وجد عم مصطفى هاتفه يرن، كانت ليلي تتصل به عندما لم تردّ جاسمين على هاتفها، اطمأنت أنها بخير وأن كل شيء على ما يرام، وحكى لها عم مصطفى ما حدث، وأنه اضطر إلى أن يوصل هذه الفتاة إلى منزلها بعد أن صدمها بالسيارة، تأكدت ليلي أن الفتاة لم يحدث لها مكروه، وشكرت عم مصطفى على صنعه وحسن تصرفه.

أخيراً وصلت السيارة إلى منزل جاسمين التي كانت تفكر طوال الوقت ماذا يمكن أن تفعل عندما ترى والدتها؟ كيف ستفاهم معها؟ هي غاضبة جداً منها ولا

## رحلة جاسمين

تتخيل أنها سوف تتحدث وتتعامل معها بشكل عادي، فهي ترى أنّ أمها أخطأت لأنها اتخذت هذا القرار من الأساس، كما تَرى أنها وضعتها في موقفٍ محرجٍ للغاية لأنها لم تبلغها، وأنها عرفت الخبر من والدة صديقتها، وهي في الوقت ذاته صديقةُ أمها.

رنت جاسمين جرس الباب، وفتحت الأم وفتحت ذراعيها لتستقبل جاسمين كالمعتاد، لكن جاسمين تجاهلت أمها تمامًا، كأنها لا تراها أمامها، واتجهت إلى غرفتها مباشرةً دون أن تنظر إلى أمها أو أن تنطق بكلمةٍ واحدةٍ.

ذُهِلت ليلي وفوجئتُ بهذه الطريقة، وكانت المرة الوحيدة التي عاملتها جاسمين بهذا الأسلوب عندما رفضت مرةً لها طلبًا وجدت أن به مبالغة شديدة، وفي هذه المرة أصرت ليلي على رأيها بعدم الاستجابة لطلب جاسمين ورأت أن لديها كل الحق، وانتهى الموقف حينئذٍ عندما وبَّخَهَا والدُها بشدةٍ على الطريقة التي كانت تعامل بها أمَّها وحذرها من أن تكررهما مرةً أخرى.

لم تكن تفهم ليلي بالطبع ما الذي حدث، وكانت تتوقَّع أن تتحدث معها جاسمين كالمعتاد بحماستها المعهودة عما حدث لهما في الطريق والفتاة التي صدمها عم مصطفى، وتفاصيل الحادث، وكيف كانت الفتاة، وما الذي حدث لها... وكل شيء، لكن ليلي فوجئت بصمت جاسمين غير المعهود، فلم تعهدتها صامتةً ساكنةً، فقد كانت تملأ المنزل دائماً صخبًا ومرحًا.

اتجهت ليلي إلى غرفة جاسمين لتفهم ما الذي أصاب ابنتها، ووجدت باب الغرفة مغلقاً، طرقت الباب فلم تُجِبْ جاسمين، فحاولت فتحه لكنها وجدته مُوصداً بالمفتاح من الداخل.

"يا إلهي! هذا ما فعلته جاسمين بالضبط المرة الماضية عندما قررت أن تخاصمني، ترى ما الذي حدث؟ لا يمكن. هل يمكن أن تكون عرفت خبر حملي؟ يا إلهي! لقد نسيت أن أحذر دنيا من إخبار جاسمين، قطعاً علمت منها بطريقة أو بأخرى بخبر حملي"، هكذا حدثت ليلي نفسها، فقد كان الوالدان يرغبان في أن يخبراها بالنبأ بدلاً من أن تعرف هي من أي مصدر خارجي.

وفي الغرفة، كانت جاسمين مستغرقةً في نوبةٍ بكاءٍ شديدةٍ، فقد كانت خائفةً من المستقبل، ومن كل شيء، ولم تكن تدري كيف سيكون حال هذا البيت عندما يحل المولود الجديد، أخذت تفكر، هل يا ترى مَلَّ الوالدان منها؟ هل مَلَّ من وجودها وحدها في البيت؟ ولكن ما الذي ينقصهما كوالدين؟ قالت جاسمين لنفسها:

"أنا متفوقةٌ، كل سنةٍ أحصل على الدرجات النهائية في الاختبارات الشهرية واختبارات نهاية العام، ودائماً أريدهما أن يفرحا بي، فأمي أتحدث معها دائماً وأحب صحبتها، نخرج مع بعض كثيرًا، ونتجاذب أطراف الحديث دائماً، وأبي أيضاً، دائماً أدلُّهُ وأخبره كم أحبه وكم أحب صحبتته، صحيح هو مشغول للغاية، لكني دائماً أحب أن أبلغه بحبي له، إنه وأمي كل شيء لي في الدنيا. أنا أحبهما أكثر من أي شيء. أريدهما لي وحدي أنا. لا أريد إخوة. هل هذا كثير؟ أنا ابنتهما التي دائماً ما تدخل على حياتهما البهجة، لماذا يريدان طفلاً آخر؟ لماذا؟"

## رحلة جاسمين

ودخلت جاسمين مرةً أخرى في نوبة بكاء شديدة حتى احمرت عيناها وشعرت بألم شديد في رأسها وأنفها من كثرة البكاء، ثم ذهب في سبات عميق.

لم تعتد جاسمين أن تحلم، لا تتذكر الأحلام التي تحلم بها، لكن في هذه الليلة الغريبة حلمت برؤية، حلمت بها وهي ترتدي الملابس ذاتها، لكنها لم تكن كفيفة، بل كانت رقية مبصرة لا تستخدم العصا البيضاء، ولم تكن هناك أي مشكلة في عينيها، وتعجبت أنها وجدت تمسك بيدها لتعبر بجاسمين الطريق، لم تر جاسمين نفسها في الحلم كفيفةً، لكنها وجدت نفسها عاجزةً عن عبور الطريق، فكانت رقية إلى جوارها ممسكةً بيدها، وهي التي عبرت بها الطريق.

استيقظت جاسمين، وكانت تتعجب بشدة لما رآته في الحلم.

في الليلة التالية تحدثت ليلي ومحمد والدًا جاسمين في الوضع الحالي والمشكلة التي جدت على الأسرة، وحكت له ليلي كيف أن جاسمين عادت من الخارج وهي في أغرب حال، وأنها حتى لم تتحدث معها ودخلت غرفتها وأوصدت الباب بالمفتاح.

## الفصل الرابع

طرق محمد باب غرفة جاسمين التي كانت قد استيقظت من النوم، جاسمين تحب والدها جداً، لكنها تخافه أيضاً وتشعر بالرعب عندما ينهزها لأي سبب من الأسباب.

- جاسمين، هل أنتِ مستيقظة؟
- نعم يا بابا.
- من فضلك افتحي الباب.
- حاضر، سوف أفتح الباب حالاً.

نهضت جاسمين من فراشها وأمسكت بالمفتاح وفتحت الباب، وكان محمد وحده؛ لأن ليلي كانت تخشى هذا الموقف، كما كانت تخشى المواجهة، أما محمد فكان أكثر شجاعة.

- صباح الخير يا بنيتي، كيف حالك؟
- .....

- لماذا لا تردين؟ ما مشكلتك؟ هل من الأدب أن يكلمك والدك ولا تردين؟

بدأت نبرة صوت محمد في الارتفاع، وهذا بالتحديد ما يخيف جاسمين، كم هو أبّ حنون، لكنها تخاف هذه النبرة العالية.

- أصل يا بابا، أنا حزينة.
- مم؟ ما الذي حدث؟

- هل صحيح أن ماما حامل؟
- نعم، هذا صحيح.
- ولماذا لم تخبراني بهذا الخبر؟ ألا تظنان أنه كان لا بد لي أن أعرف بهذا الخبر المهم للغاية؟
- كنا فقط ننتظر الوقت المناسب، فأمك كانت تخاف على مشاعرك، وكانت تشعر أنك ستحزنين بسبب هذا الخبر.
- .....
- أريدك فقط أن تفكري بهدوء، فهذا حدث عادي، ومن الأفضل ألا تبالغي في رد فعلك، فأمك حملها ليس مستقرًا وفي حاجة إلى أن نساعدنا وندعمها.
- .....
- لماذا لا تتكلمين؟
- فقط لا أجد ما أقول.
- حسنًا، سأتركك وحدك كي تفكري بمفردك في هذا الأمر.

طَبَعَ مُحَمَّدٌ قُبْلَةً عَلَى جِبْهَةِ جَاسْمِينَ وَوَدَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى عَمَلِهِ، وَعَادَتْ جَاسْمِينَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَفْكَارِهَا، وَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا قَائِلَةً:

"أبي يقول إن أمي حملها غير مستقر، فهذا يعني أعباء إضافية علي، فقد اعتادت أمي أن تفعل كل شيء، فهي لا تحب وجود أي أحد في المنزل يساعدها في الطهي، بينما أم زينب تأتي لتساعدنا في التنظيف فقط، لكن من سيطهو

الطعام؟! لا يمكن أن يفكروا في أن أفعل أنا أي شيء، يا له من حظ عنتر! لكنني أيضًا قلقةً على سلامة أمي، فأنا أحبها طبعًا وأتمنى أن تكون في خير حال. أمي أهم من كل شيء. ماذا أفعل يا إلهي!؟

عادت مرةً أخرى للتفكير في رقية، وتساءلت قائلةً:

هل أتصل؟ نعم، ممكن أن أتواصل معها، لكن الوقت ما زال مبكرًا الآن، ممكن أن أتعلَّل بحجة الاطمئنان عليها، لكن هل سترغب في الحديث معي؟ يبدو أنها أكبر مني بعدة سنوات، أظن أن سنها لا يقل عن 15 أو 16 سنة بأي حال. ما المشكلة؟ لا توجد مشكلة؟ بعد عدة ساعات سوف أتواصل معها لأتأكد أن كل شيء على ما يرام.

نهضت جاسمين من الفراش وتوضأت وصلت، ثم حاولت أن تصرّف تفكيرها عن هذه المشكلة التي تؤرقها بأي شكل، ففتحت التلفزيون لتشاهده، وأخذت تقلب في القنوات، وعبثًا حاولت أن تجد أي شيء في التلفزيون ينسبها ولكن دون جدوى، أغلب البرامج المسلية تأتي ليلاً وليس في الصباح.

خطرت على بالها فكرة، ففتحت تطبيق فيسبوك على هاتفها المحمول، وقالت إنها ربما تجد أي شيء جديد يجعلها تمضي هذا الوقت الذي يمر ببطء.

فتحت الهاتف وضغطت على أيقونة فيسبوك، وعندما فتحت وجدته في خانة "أشخاص قد تعرفهم" أكثر من شخص، هذه لجين، وهذه تمارا، وتلك ملك، فتعجبت جدًا لما وجدته فجأة، فقد وجدت اسم رقية عبد الباسط ضمن القائمة المقترحة في

## رحلة جاسمين

خانة "أشخاص قد تعرفهم"، تعجبت جدًا، كيف عرف فيسبوك أنها ربما تعرف رقية؟ هل لأنها سجلت رقمها على هاتفها؟ نعم، نعم، في الغالب سيكون هذا ما حدث، هذه صورة زهور جميلة جدًا وقد كتبت هذه العبارة في حسابها: "بَحْلَمَ عَلَى أَدْيِي بِشِرَاعَ يَعْدِينِي" (1).

قررت جاسمين أن ترسل طلب صداقة إلى رقية وتنتظر ما الذي سيحدث، أغلقت الهاتف وخرجت من غرفتها، وتوجهت إلى غرفة والدتها ووجدت الباب مفتوحًا، وقفت بهدوء عند باب الغرفة محاولة اكتشاف إذا كانت أمها مستيقظة أم لا. همست قائلة:

- أمي، هل أنتِ مستيقظة؟

فلما لم تجد ردًا قررت أن تدخل الغرفة وتطبع قبلة على وجنتها أمها، وبالفعل دخلت الغرفة وطبعت قبلة صغيرة على وجنتها لكن هذه القبلة كانت كفيلاً بأن توقظ ليلى:

- صباح الخير يا جاسمين، أيتها الفتاة القاسية.
- صباح الخير يا أحلى أم في الدنيا.
- يا سلام! بالأمس تجاهلتيني تمامًا، فتحت لك ذراعي وتجاهلتيني تمامًا، واليوم أنا أحلى أم في الدنيا؟! جاسمين، أنا حقًا غاضبة.
- آسفة يا أمي.

- هل سبب هذه التصرفات ما أفكر فيه؟
- وما الذي تفكرين فيه؟
- يا بنيتي توقفي عن الحيل. أنا أحفظك جيداً. علمتِ بالطبع من "طنط" دنيا خبر حملي، أليس كذلك؟
- بلى.
- وهل هذا مبرر لتصرفك معي أمس؟
- أنا آسفة. أرجوك سامحيني. أنا أحبك جداً يا أمي، ولا أريد شيئاً سوى أن تكوني بجواري دائماً، فأنا لا أتخيل أنه سيكون هناك شخص آخر في حياتك تحببته مثلي. أرجوك سامحيني واعذريني.
- هنا لم تتمالك ليلي من أن تحبس دموعها أكثر من ذلك، وأخذت جاسمين بين ذراعها وعانقتها عناقاً طويلاً، وأخذت الاثنان تبكيان.
- بعد برهة، قالت ليلي لابنتها:
- يا جاسمين، وجود طفل آخر في أسرتنا لا يعني أن حبك سينقص، فقط سيكون الحب والاهتمام موزعاً بينك وبين الطفل الجديد.
- .....
- كوني متأكدة أنك ستظلين دائماً ابنتي الغالية التي لا يمكنني الاستغناء عنها.
- .....
- لماذا لا تردين؟

رحلة جاسمين |

أطرقت جاسمين ولم تستطع النظر في عيني أمها، وأسرعت إلى غرفتها  
وانهارت على فراشها باكياً.

## الفصل الخامس

كانت رقية في منزلها تمسك بهاتفها المحمول الذي أصبحت تعتمد عليه بصورة كبيرة في كل شيء، فهناك تطبيقات كثيرة تساعدك كثيرًا وتفيدها.

تحب رقية فيسبوك كثيرًا؛ لأنه يجعلها تتواصل مع صديقاتها الكفيفات، وأيضًا الصديقات الأخريات المبصرات اللاتي تمكنت من التعرف إليهن سواء عن بعد، أو قابلتهن في الواقع.

يساعدها تطبيق Talkback على قراءة كل ما هو مكتوب على فيسبوك، عرفت أن فتاة تُدعى جاسمين محمد أرسلت لها طلب صداقة، لوهلة شعرت بالحيرة لأنها لم تكن تتذكر هذا الاسم، وبالصدفة لمست يدها المكان الذي أصيبت فيه بكدمة بعد حادث أمس عندما صدمتها السيارة، فشعرت بالألم وتذكرت اسم الفتاة التي كانت تجلس إلى جوارها. قالت:

"نعم، تذكرت الآن. هذه هي جاسمين. هذه هي الفتاة مالكة السيارة التي صدمتني بالأمس. تذكرتها الآن. كنت أظنها شعرت بالحرج ولن تفكر في التواصل معي بعد أن أخبرتها أنني لا أحتاج مساعدتها. لا أحب أن أخرج أحدًا، لكنني أيضًا لا أحب أبدًا أن يتطوع أحدهم لمساعدتي دون أن أطلب منه، ولأنني كثيرًا ما أتعرض لهذا الموقف، أصبح ردُّ فعلي عنيفًا في بعض الأحيان، وهذا يجرحني كثيرًا.

حسنًا، سوف أوافق على طلبها فورًا وأنتظر لأرى ماذا تريد، فلا أمانع أن أتعرف إلى من هو أصغر مني سنًا، لكن يبدو أنها أصغر مني بكثير على ما أظن."

قبلت رقية صداقة جاسمين على فيسبوك، ثم خاطبت أمها التي كانت تجلس في غرفتها قائلة:

- أمي، هل تحبين أن أُعدَّ لكِ كوبًا من الشاي؟ سوف أشرب الشاي الآن.

جاء صوت أمها بعيدًا من غرفتها:

- نعم يا رقية، من فضلك أريد كوبًا من الشاي. أنا أحتاجه بشكل عاجل.

توجهت رقية إلى المطبخ. فهي تعرف الطريق إليه جيدًا، ويحرص الجميع على عدم وضع أي عراقيل على الأرض كيلا تتعثر رقية في طريقها، ودخلت المطبخ وتحسست مكان غلاية الماء، وضغطت على الزر، وفتحت الغطاء، ثم توجهت إلى الصنبور لتضع بداخله الماء، وبالفعل وضعته بكل مهارة في مكانه وضغطت على زر الكهرباء، وانتظرت سماع صوت الماء وهو يغلي ثم صوت زر الكهرباء وهو ينطفئ، فهي تحب هذا الصوت جدًا.

لا تدري بالتحديد ما الذي يعجبها في صوت الزر وهو ينطفئ.

دون أن تتحسس رقية الأماكن تعرف مكان الشاي والقهوة والسكر وكل شيء، فهي تحب أن تعتمد على نفسها، وتحب أن يعتمد عليها الآخرون، كما تحب أن يطلب منها الآخرون طلباتٍ تستطيع تنفيذها بسهولة. كما أنه أمها تحاول أن

تجعلها تعتمد اعتمادًا كليًا على نفسها قدر الإمكان حتى تستطيع أن تعيش حياتها دون أن تحتاج للآخرين.

لدى رقية أخ اسمه يحيى، وأختان هما رحمة وبسمة، ورقية هي الابنة الثالثة، وبسمة هي أصغر الإخوة.

أعدت رقية كوبين من الشاي لها ولأمها، وجلست على مائدة السفرة، وفتحت الهاتف المحمول مرة أخرى لترى إن كان أحدهم قد أرسل لها أي رسالة صوتية أو أي شيء. فوجدت رسالة من جاسمين.

"مرحبًا يا رقية، كيف حالك؟ هل أنت بخير بعد حادث أمس؟"

هكذا كان سؤال جاسمين عن رقية التي رأت أن أفضل طريقة كي تتجاذب معها أطراف الحديث أن تسأل عنها وتطمئن عليها بعد حادث أمس.

ردت عليها رقية برسالة صوتية وقالت لها:

- أهلاً جاسمين. تسرني صداقتك. نعم، أنا بخير الحمد لله. أصبت بكدمات طفيفة والحمد لله.
- سامحيني يا رقية وسامحي عم مصطفى. لم يكن يقصد، فكان كان يتحدث إليّ.
- لا مشكلة يا جاسمين. الحمد لله لم يحدث لي مكروه.
- هل يمكن أن أتعرف إليك أكثر؟
- نعم بالطبع، لا مشكلة.

- كم عمرك؟
  - أنا 16 عامًا.
  - يااااه. أنت تكبريني. ظننت هذا. أنا عمري 12 عامًا، أو على وشك أن أتم 12 عامًا.
  - لا مشكلة يا جاسمين. أتدرين، لدي أصدقاء من كل الأعمار.
  - حقًا؟ هذا رائع.
  - وأين تسكنين؟ عندما وصلناك للمنزل، هذا كان منزلك، لكني لا أعرف هذه المنطقة.
  - في المنيل.
  - المنيل؟ أنا لم أسمع بها من قبل. أين هي منطقة المنيل؟
  - إنها جزيرة تطل على النيل، ألم تري النيل في الطريق؟
  - لم أكن منتبهةً أمس يا رقية. كنت أفكر في شيء آخر.
  - حسناً يا جاسمين، أنا سعيدة جدًا بالتواصل معك. هل تحبين أن نتقابل مرة؟
- هنا ترددت جاسمين قليلاً، فلم يسبق لها أن تعاملت مع أي مكفوفين، ولا تدري كيف سيكون التفاهم وكيف التصرف؟ صمتت قليلاً، ثم ردت على رقية بحماسة برسالة صوتية.
- نعم، نعم، أحب هذا جدًا يا رقية! بل أحب أيضًا أن أعرفك إلى صديقاتي.
  - لا مشكلة. أحب التعرف دائماً إلى صديقاتٍ جدد.

لم تكن رقية متحمسةً تمامًا مثل تحمس جاسمين، فقد استشعرت كم هي مرفهةً، وهي ليست كذلك، وربما كانت على النقيض من ذلك تمامًا، فهي لا تعرف حقًا أين هي منطقة المنيل العريقة، كما أن بنتًا في عمرها لديها سيارة وسائق. يا له من تدليل مفرط! كان هذا هو رأي رقية شخصيًا، ولكن بأي حال لم تكن رقية تمانع في خوض تجاربٍ جديدةٍ في الحياة، ففي كل موقف كانت تمر به كانت تجد درسًا جديدًا يساعدها أكثر على النضج وعلى فهم الحياة وعلى الاستقلالية.

بعد أن انتهت جاسمين من المحادثة مع رقية، شعرت بمشاعرٍ غريبةٍ ومتناقضَةٍ؛ أولًا كانت تشفق على رقية بسبب كَفِّ بصرها، ومع ذلك لسبب ما كانت تغبطها، فكانت ترى أنها ربما تكون سعيدةً، هل مَثَلًا لأن عمرها أكبر؟ أم لأنها قريبةٌ من النيل؟ لا تعرف بالتحديد السبب الذي جعلها تغبط رقية، فكل ما عرفته عنها أنها تسكن قرب النيل، ولم تنتبه لهذه الملحوظة أمس؛ لأنها كانت مستغرقةً تمامًا في أفكارها، ولكن هناك الكثير من المعلومات التي لم تعرفها بعد عن رقية؛ لم تعرف ما الذي جعلها كفيفة؟ هل ولدت هكذا؟ هل تعرضت لحادث؟ هل لديها إخوة؟ كيف يتصرف أخوتها ووالداها معها؟ ما زال لديها الكثير من الأسئلة التي تريد أن تعرف إجاباتها في أقرب وقت، فالفضول يقتلها.

## الفصل السادس

مرت على هذه المحادثة التي جرت بين جاسمين ورقية نحو 7 أشهر الآن، وكانت رقية مشغولةً للغاية في دراسة اللغة الإنجليزية التي هي شغفها الأساسي، فهي تريد أن تتفوق فيها، وربما تتمكن عندما تكبر قليلاً من العثور على فرصة عمل مناسبة تساعد على تحقيق ذاتها بدرجة أكبر؛ لذا هي تذاكر وتجتهد وتكتب بمهارة الحروف الإنجليزية بطريقة برايل، وكونت حصيلةً لا بأس بها من الكلمات الإنجليزية، وتمكنت من معرفة مقابلها باللغة العربية.

كما أنها تحب جداً أن تقرأ الروايات سواء العربية أو الإنجليزية، صحيح وجدت صعوبة في البداية في قراءة الروايات بالإنجليزية، لكنها بدأت الآن في قراءة القصص البسيطة، وتتمنى أن تتمكن لاحقاً من قراءة الروايات الأصعب، وتستمع أيضاً إلى الكتب الصوتية بالإنجليزية وتحاول قدر استطاعتها فهمها، وبينما هي منشغلة في درس اللغة الإنجليزية، سمعت إخطار فيسبوك يشير إلى تلقيها رسالة جديدة.

فتحت تطبيق فيسبوك لتجد رسالةً من جاسمين. قالت رقيةً محدثةً نفسها:

"يااااااه. لقد نسيتك تماماً يا جاسمين رغمًا عني. كنت منشغلةً للغاية."

اندهشت رقيةً جداً من الرسالة التي وجدتتها من جاسمين، وهكذا كان نصها:

"كيف حالك يا رقية؟ هل تتذكريني؟ كانت سيارتي هي من صدمتك منذ عدة أشهر، أتمنى ألا تكوني قد نسيتيني، أريد أن أتحدث إلى أي أحد، أريد أن أتحدث

## رحلة جاسمين

وأفضل مع أي أحد لأنني أشعر أنني حزينة جدًا. أتمنى أن يكون لديك الوقت كي تستمعي إلي. ربما تكونين متعجبةً من رسالتي تلك، لكنني سأقول لك كل شيء عندما أقابلك."

استمرت حالة الدهشة لدى رقية قليلاً، لكن الفضول كان يداعبها، ولم تتمكن من أن تعرف الكثير عن جاسمين، لكن الانطباع العام الذي تولد لديها تجاهها هي أنها مرفهة جدًا، فما المشكلة التي يمكن أن توجد في حياتها وتجعلها حزينة لهذه الدرجة؟

قالت رقية محدثةً نفسها:

"الأمر يسير، أفضل شيء هو أن أقابلها في المكان الذي تريده وأستمع إليها، لكن ترى لماذا تريد التحدث معي أنا بالتحديد؟! هذا غريب جدًا. هل أمها وأبوها موجودان؟ قطعاً لن أصل إلى إجابة عن هذه الأسئلة بمفردي، وعلى أي حال، لا بد أن أقابلها لأعرف ما المشكلة."

أرسلت رقيةً لجاسمين رسالةً صوتيةً مفادها:

"جاسمين، أتذكرك بالطبع، لا يمكن أن أنساك، ويسرني جدًا أن أقابلك، أين ومتى تريدين أن نتقابل؟"

اتفقت الفتاتان على أن تتقابلا في حديقة الحيوان بالجيزة، ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة لجاسمين، فعم مصطفى موجود دائماً ويمكنه أو يوصلها إلى المكان الذي تريده، ورقية كذلك ليس لديها مشكلة، ويمكنها أن تتصل هي بسائق سيارة الأجرة

عم فتحي الذي يوصلها إلى أي مكان تريده، ويحصل منها على أجرة مخفضة نظير ذلك.

وفي اليوم الذي اتفقتا عليه استيقظت جاسمين من النوم في موعدها المعتاد، وكانت معتلة المزاج جدًا، فقد كانت أمها ليلي في شهور الحمل الأخيرة، وأمضت وقتًا طويلًا وهي ترقد على الفراش، بعد طلب منها الطبيب أن تحرص على الراحة قدر المستطاع؛ لأن الحمل ليس مستقرًا على الإطلاق، وربما كان هناك خطورة على حياتها، وكانت تحضر أم زينب كل يومين لتنظيف منزلهم، كما تساعد الأسرة أيضًا في تحضير وجبات الطعام الطازجة، فليلى غير قادرة على بذل أي مجهود. صحيح أن الوجبات كانت متاحة، لكن كان لا بد أن يقوم أحدهم بإعداد الطعام وتسخينه، وطلب والد جاسمين أن تقوم هي بهذا الدور، فلا يمكن لأم زينب أن تأتي كل يوم لتسخين الطعام وإعداد المائدة فقط.

قال محمد لجاسمين في أحد الأيام:

- يا جاسمين، أنتِ لم تُعودي صغيرة يا ابنتي، وتعلمين كيف تعدين المائدة، وكيف تسخين الطعام، فهل تجدين صعوبةً في ذلك؟
- نعم، أنا لم أعتد على هذا أبدًا يا أبي.
- إذًا، فقد حان الوقت للاعتياد على ذلك، فأنا لا أطلب منك مهمّةً صعبة، فقط أريدك أن تُعدي المائدة والطعام لنا جميعًا، فأنت تَرين حال والدتك، أليس كذلك؟

- بلى يا أباي أرى بالفعل، لكنني لست ...
- لا أريد أن أسمع منك كلامًا يا جاسمين، أريد أن أرى فعلاً.

لم تستطع جاسمين أن تزدَّ، ولم تكن تريدُ أن تردَّ أصلاً؛ لأنها لا تجدُ ما يمكن أن تقول، فلم تعتد أن تخدم غيرها، بل اعتادت أن تطلب فتُجاب طلباتها دونَ عناءٍ يذكر، والآن كل شيء تحوّل وأصح لزاماً عليها أن تتحمل أوضاعاً معكوسةً تماماً، فعليها أن تستجيب لطلبات أمها وأبيها، ومن يدري كيف ستكون الحال بعد أن تلد أمها؟ ربما تزيد الأعباء وتزيد الطلبات.

"يا إلهي! ماذا فعلتُ في حياتي كي تتحوّل من النقيض إلى النقيض لهذه الدرجة؟ لا أظن أنني آذيت شخصاً في حياتي قبل ذلك؟ لماذا إذاً يحدث معي كل هذا؟ هل مثلاً لأنني كنت أضايق صديقاتي في بعض الأحيان وأتعمد إغاظتهن؟ لم أكن في أعماقي أقصد هذا حقاً، بل كنت أريد فقط أن أثير إعجابهن، سواء بملابسي أو بالحلي التي أرتديها، كان هذا يسعدني ويجعلني أشعر أن لدي ما ليس موجوداً لديهن، لا أريد أن أحزنهن، ولكنني أحب دائماً أن أكون مميزة."

"أنا لست شريرة ولا أحب أن أؤذي غيري، أحب صديقاتي لكنني أشعر أنهن يتضايقن مني أحياناً. ربما أقول كلاماً قاسياً في بعض الأحيان لكنني مندفعة، لا أفكر كثيراً قبل أن أنطق ما أقول. أنا أحب كل صديقاتي. ليس لدي إخوة، أو على الأقل لم يكن لدي إخوة إلى أن تلد أمي، إنهن بديل للإخوة، وأشعر كثيراً بالملل والوحدة وهن من يملأن هذا الفراغ ويعوضنني عن هذه الوحدة.

يا ربي! أتمنى ألا أكون قد أغضبت أحدًا في يوم من الأيام، وأتمنى ألا يكون هذا الموقف الذي أتعرض له الآن جزءًا لي لأنني لا أجد دائمًا الحديث إلى صديقاتي، أو التعبير بشكل دقيق عن مشاعري. أتمنى."

تريد جاسمين أن تتحدث وتشكو لأحدهم، لكنها لم تكن تدري من يمكن أن يقوم بدور المستمع، من يمكن أن يستمع إليها دون أن يحكم عليها ودون أن يتهمها بأنها مدللة، تشعر أن صديقاتها لا يصلحن لهذا الدور، لن يفهمنها، ولن يستطعن استيعاب ما تقول، وربما قلن في قرارة أنفسهن: "أنتِ تستحقين ذلك لأنك عشتِ حياتك كلَّها مدللةً." ربما. حتى أقاربها، لم تجد من بينهم من يمكن أن يستوعب ما تقول، فكانت تسمع خالتيها تقولان دائمًا لأمها كم هي تدلل جاسمين، وأن هذا التذليل الزائد سوف يفسدها، حتى أبناء وبنات الخاليتين لم تشعر يومًا بأنهم يتعاملون معها على أنها قريبة منهم، ثم إنهم جميعًا أكبر منها سنًا بكثير، فأغلبهم الآن في المرحلة الجامعية.

أما عمها، فهو ليس موجودًا في مصر أصلًا، هاجر إلى كندا منذ زمن بعيد، وهي حتى لا تتذكر متى كانت آخر مرة رأته فيها، وربما كانت في سن خمس سنوات، فهي لا تتذكره جيدًا؛ لأنه منذ أن هاجر لم يرجع إلى مصر، وتتنحصر الصلة بين والدها وعمها في رسائل الواتساب أو الفيسبوك في المناسبات والأعياد الرسمية، ولسبب ما وجدت أنها تفكر في رقية، وشعرت أنه ربما يمكن أن تستمع إليها دون أن تصدر عليها أحكامًا، ربما يمكنها أن تحكي لها، وربما تتمكن رقية من أن تقول لها كيف يمكن أن تتصرف، أو ماذا تفعل في وضعها الجديد.

## رحلة جاسمين

لم تتردد جاسمين كثيراً، قررت أن ترسل رسالة لرقية تطلب منها مقابلتها، لعلها تستطيع إفادتها.

اتفقت الفتاتان أن تتقابلا بعد أسبوع من الرسالة التي أرسلتها جاسمين، وفي اليوم المقرر للمقابلة، استيقظت جاسمين مبكراً واستأذنت والدتها، وافقت ليلي بعد تردد؛ لأنها كانت قلقة عليها، وكانت المرة الأولى التي تطلب فيها جاسمين أن تذهب إلى حديقة الحيوان في الجيزة بمفردها. فالمسافة بين التجمع الخامس والجيزة بعيدة، كما أن حديقة الحيوان شاسعة المساحة، صحيح أنها تدري جيداً أن جاسمين ماهرة في معرفة الأماكن وأنها لن تتوه، لكنها كانت قلقة، وتحت إلحاح جاسمين قررت ليلي أن توافق على طلبها، وطلبت من عم مصطفى أن ينتبه جيداً.

وصل عم مصطفى بالسيارة وعرفت جاسمين بقدومه، ونزلت إلى السيارة وَحَيْثُهَا كالمعتاد:

- صباح الخير يا عم مصطفى، كيف حالك؟
- الحمد لله يا ابنتي.
- الحمد لله.
- إلى أين اليوم؟
- إلى حديقة الحيوان.
- يااااه يا جاسمين؛ إنها مسافة بعيدة جداً، ولكن هل يُمكن أن أسألك لماذا طلبت الذهاب إلى الحديقة في هذه الأجواء الحارة؟ وبمفردك؟

## رحلة جاسمين

- لا يوجد سبب محدد يا عم مصطفى، فقط شعرت بالملل من كل الأماكن التي أزورها، وأحببت أن أذهب إلى مكان مختلف.
- حسناً يا بني، كما تريدين، على أي حال سأكون إلى جوارك إن احتجت إلى أي مساعدة.
- شكراً يا عم مصطفى، سوف أطلبك إذا احتجت شيئاً، وسوف أستمع بوقتي كثيراً، معي الكاميرا التي سوف ألتقط بها صوراً كثيرة لكل ما في الحقيقة.
- حسناً، أتمنى لك وقتاً ممتعاً.

## الفصل السابع

لم تخبر جاسمين أي أحد أنها تعترم مقابلة رقية، فلم تحك لأمها عن رقية، وتشك أن يكون عم مصطفى يتذكر هذا الحادث، فقد مرت عليه شهور طويلة، ولا تريد أن تحكي لأحد، تريد فقط أن تعتبر هذا سرًا يخصها ولا تريد البوح به، فربما شعروا بالقلق من طبيعة هذه العلاقة مع رقية، وربما رفضوا وجود هذه العلاقة من الأساس، فرقية تكبرها سنًا، كما أنها كفيفة، وربما لا يفهمون سبب وجود صداقة بينهما تحت أي ظرف.

وصلت جاسمين إلى الباب الرئيس لحديقة الحيوان، قطعت التذكرة، ودخلت وأخذت تنتظر رقية، وهاتفها فردت عليها، وقالت لها إنها على وشك الوصول، الساعة الآن الثانية عشر بالضبط، ظل نظر جاسمين متعلقًا بالبوابة الرئيسة للحديقة في انتظار رقية، ووسط هذا الطوفان من البشر الذي يدخل، وجدت فتاة ترتدي نظارة شمس وحجابًا برتقاليًا زاهيًا، وملابس أنيقة جدًا من البرتقالي والأخضر. إنها رقية!

"من هذه التي تضع رقية يدها في ذراعها؟ أيمن أن تكون إحدى أخواتها؟ أم أنها غريبة عنها وطلبت منها المساعدة؟ سوف نرى الآن"، هكذا حدثت جاسمين نفسها.

اتجهت جاسمين بسرعة في اتجاه رقية بعد أن تأكدت أنها هي، ووصلت إلى المكان الذي كانت تقف فيه برفقة شقيقتها بسمة.

- مرحبًا، أنا جاسمين.
  - أهلاً يا جاسمين، كيف حالك؟ هذه بسمَةٌ شقيقتي.
  - أهلاً يا بسمَة.
  - أهلاً جاسمين، تسرني مقابلتك. فرصة سعيدة جداً.
  - أنا أسعد.
  - هل تريدان أي شيء يا رقية؟ سوف تتواصلين معي عندما تريدان العودة للمنزل، أليس كذلك؟
  - بلى، سوف أفعل.
  - حسناً، مع السلامة. سوف أترككما الآن.
- طلبت رقية من جاسمين أن تضع يدها في نراعها كما كانت تفعل معها شقيقتها بسمَة، وسرت جاسمين كثيراً لهذا الطلب، كانت تريد أن تفعل أي شيء إيجابي يمكن أن تساعد رقية به.
- كيف حالك يا جاسمين، هل أنت بخير؟
  - .....
  - لا أخفي عليك أن رسالتك جعلتني أشعر بالقلق.
  - آسفة لأنني أقلقتك، هل يمكن أن تنصحيني يا رقية؟

ألجمت المفاجأة رقية للحظة، ثم هزت رأسها بالموافقة، فكرت رقية كثيراً في الموضوع الذي يمكن أن يكون ملحقاً لهذه الدرجة، وجعل جاسمين راغبة في هذه المقابلة المفاجئة بالنسبة لها بكل المقاييس، ودار في ذهنها الكثير من الأفكار

المتداخلة المتشابكة؛ ترى هل وقعت في مأزق؟ مثلاً: هل سرقت مبلغاً من المال؟ هل لديها أزمة مع إحدى صديقاتها؟ هل لديها مشكلة مع أخوتها أو أبويها أو الجميع؟ لم تكن تدري رقية نوع المشكلة التي سترغب جاسمين في أخذ رأيها بشأنها.

ردت عليها قائلة: "تفضلي يا جاسمين، كلي آذان صاغية، لكن هل يمكن أن أسألك لماذا أنا بالتحديد؟ أنا لا أمانع بالطبع، لكن هل يمكن أن تقولي لي لماذا أنا؟"

أجابت جاسمين: "لا أدري، ربما لأنني أشعر بالثقة فيك لسبب لا أعرفه بالتحديد، أشعر أنك واثقة جداً من نفسك، أشعر أن خبرتك في الحياة يُمكن أن تفيدني، لا أدري سبباً محدداً لكني أثق بك."

قالت رقية: "أشكرك على ثقتك بي، وأتمنى أن أكون عند حسن ظنك، كلي آذان صاغية، تفضلي، أنا أسمعك."

"لا أعرف كيف أبدأ؛ عمري الآن 12 عاماً، أعيش منذ ذلك الحين كطفلة وحيدة مع أبي وأمي في منزلنا، أنا متفوقة ولدي صديقاتٍ كثيرات، وكنت أعيش حياتي وأنا سعيدة جداً، صحيح كنت أشعر بالوحدة أحياناً، لكني في أحيان أخرى كنت أستمتع بفكرة كوني الطفلة الوحيدة لأبي وأمي، لقد كانا ينفذان كل طلباتي، ويحبان دائماً أن يُسعداني، وأنا أيضاً كنت أحب أن يكونا فخورين بي."

- حسناً، أسمعك.

"فجأة، أشعر الآن أن حياتي هذه ستتقلب رأسًا على عقب، فأمي حامل وسوف تلد بنتًا أخرى حسبما قال الطبيب، إنها على وشك أن تضع مولودتها الجديدة، وحياتي كلها ستتهار، ولن أكون أنا وجهة الحب الوحيدة في أسرتي؛ فسوف تشاركني الآن شقيقتي الرضيعة في كل هذا الحب والاهتمام، غرفتي لن تصير غرفتي وحدي، ستشاركني فيها شقيقتي الصغيرة، وسوف يمتلئ البيت ببكائها وإزعاجها."

شعرت رقية في قرارة نفسها بإحباط شديد مما سمعته؛ ما هذا؟ هل جاءت خصيصًا لهذا المكان المزدهم في هذا الحر القانظ لتستمع إلى هذه القصة البسيطة؟ ما هذه الفتاة المدللة؟ هل هذه هي المشكلة التي تؤرق عليها حياتها، وجعلتها ترسل لها هذه الرسالة العاجلة؟! حاولت رقية فقط أن تضبط انفعالاتها، وقررت ألا تظهر لجاسمين أيًا من المشاعر أو الأفكار التي تدور بداخلها، وقررت أن تحترم هذه القصة التي تعتبرها مشكلة حقيقية لديها، وسريعًا حاولت أن تضع نفسها مكان جاسمين كي تحاول استيعاب المشاعر التي تمر بها.

- نعم يا جاسمين، استمري.

"أريد أن أسمع من أحدٍ آخر غير أبي وأمي، أولاً: أشعر أنهما كان من المفترض أن يأخذا رأيي قبل أن يقررا هذا القرار. ثانيًا: أشعر أن حياتي لن تكون مثل حياتي التي اعتدت عليها، فكل شيء ينهار من حولي، دليني يا رقية؟ لدي حق أليس كذلك؟"

أخذت تفكر رقية طوال الوقت في الطريقة التي يمكن أن ترد بها على جاسمين، وكيف يمكن أن تُظهر لها أنها تقدر مشاعرها، لكن في الوقت ذاته تريد أن تقول لها ما الخطأ في طريقة تفكيرها، حاولت جاهدة أن تستجمع أفكارها وتنظمها بحيث تجعلها لا تدل على انتقاد.

- جاسمين، دعيني أخبرك بشيء، أول درس تعلمته في الحياة أن الحياة ليست كاملةً، لا يُمكن أن نأخذ كل شيء، ولا يمكن أن تسير الحياة دائماً كما نريد. هذه واحدة.
- هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟
- تقضلي؟
- كيف أصبحت كفيفة؟ ما الذي حدث لك؟

أطرقت رقية، كانت تعلم أن هذه اللحظة آتية لا محالة، هذا هو السؤال الأكثر تكررًا في حياتها من المبصرين، ما الذي حدث؟ وكيف أصبحت كفيفة؟

- رقية، هل سؤالي أحزنك؟ آسفة إن كان هذا السؤال يضايقك.
- لا إطلاقاً لا جاسمين، أنا معتادة على هذا السؤال.
- حسناً.
- عندما ولدتني أمي اضطروا أن يضعوني في حضّانة المستشفى التي وُلِدْتُ بها، لكن الرعاية لم تكن جيدة، فلأسف أثر هذا على الإبصار عندي.
- يا إلهي! كم أنت مسكينة يا رقية!

- أرجوك يا جاسمين، لا أحب أن يقول لي أحد هذا الكلام، لست مسكينة، هذا قَدْرِي وأحاول أن أتعامل معه بواقعية.

علت الحمرّة وجه جاسمين؛ أولاً: لأنها شعرت أن رقية بدأت تكلمها بجدة، ثانياً: لأنها لم تكن تريد أن تفسد هذا اللقاء، وكانت تريد أن تسمع من رقية رأيها دون أن يعكر صفوها أي شيء.

- آسفة يا رقية، سامحيني.

- لا عليك. دعك مني الآن. فلنعد إلى قصتك مرة أخرى.

- حسناً. أخبريني ماذا أفعل؟

حاولت رقية أن تلمّم أفكارها مرة أخرى بعد أن استنفدت طاقتها قليلاً للإجابة عن هذا السؤال المعتاد الذي يطاردها في كل مكان.

أردفت قائلةً:

- كنت أقول لك يا جاسمين: إن الحياة لا تعطينا كل ما نريد، ولا تسير كما نخطط لها، هناك إرادة إلهية تحدد كل شيء.

- ولكني يا رقية أعلم جيداً ما الذي يُسعدني وما الذي يحزنني، وأعرف أن هذا الوضع الجديد لن يكون في صالحني، وأن حياتي القادمة لن تكون أجمل من الماضية.

## رحلة جاسمين

- كيف عرفتِ؟ أنتِ تقولين إنك تشعرين، لكن من أي أتاكِ هذا الشعور؟ كيف يمكنك أن تتنبأى بالمستقبل وهو غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى؟
- لأن هذا هو المنطق، عندما يأتي أحد ليشاركك حياتك التي كنتِ تتمتعين بها وحدك.
- هل جربتِ الحياة مع وجود إخوة قبل ذلك؟
- لا.
- إذًا، كيف يمكنك أن تحكمي؟ ألا تشعرين بالوحدة؟

شعرت جاسمين بشيءٍ يعتصر قلبها، وهذا هو الشعور الذي لم تكن ترغب في الاعتراف به أبدًا حتى بينها وبين نفسها؛ شعور الوحدة القاتل، لقد كانت تتمنى لو أن لها إخوة لكنها لا تدري ما السبب، فعندما كانت تسأل أمها كانت تقول لها: إن هذه إرادة الله، ولم تكن تفهم كثيرًا ما معنى ذلك، كانت جاسمين تخاف على والديها جدًّا، كانت تخاف أن يتركها أحدهما لسببٍ ما، تخاف دائمًا أن يصيبهما مكروه، وفي كل ليلة تنام بمفردها في غرفتها كانت تشعر بفراغ وخوف هائلين.

- أحيانًا يا رقية، كنت أشعر بالوحدة أحيانًا.
- هل تحبين أن تتحدثي عن هذا الشعور؟
- لا أفضل هذا، لكن بأي حال لدي صديقاتٌ كثيراتٌ جدًّا، ولدي هواياتي واهتماماتي التي تملأ عليَّ حياتي.

شعرت رقية أن صوت جاسمين يهتّز، تغيرت نبرته وشعرت كأنها على وشك البكاء. مضت رقية تقول:

- الصداقة شيء رائع يا جاسمين، لكن صديقتك ليست كشقيقتك، فلو كان الله كتب عليك أن تكوني دائماً ابنةً وحيدةً لكان لزاماً عليك أن ترضي بهذا النصيب، وتحاولي تعويض عدم وجود الإخوة بشكل أو بآخر، لكن بما أن الله سيرزقك بأختٍ فلا بد أن تتصرفي بشكل مختلف.
- كيف؟ ما الذي يُمكن أن يضيفه وجود رضيةٍ صغيرةٍ مزعجةٍ، لا تفعل شيئاً طَوَالَ اليوم سوى البكاء؟
- لا أدري، لا أعرف حقاً الرد على هذا السؤال بالتحديد، لكنني سأحكي لك عن تجربتي أنا، فبسمه هي شقيقتي الصغرى، وأنا ترتيبي الثالث بين إخوتي، وقبل أن تلدها أمي كنت أنا أصغرَ الإخوة، وبوجود بسمه شعرت أنني أكثر نضجاً وأني أكثر مسؤولية، كان عمري وقتها أربع سنوات، وكانت أمي تطلب مني أحياناً أن أرى شقيقتي بسمه قدر استطاعتي.
- ترعينها؟
- نعم. تحب أمي دائماً أن أعتمد على نفسي، ليس هذا فحسب، تحب أن أساعد وأن أقوم بأعمال لغيري.
- حقاً؟

- نعم. حاولت أن تزرع في أُمي الشعور بالاستقلالية، وبأنني قادرة على العمل مثلي مثل غيري من المبصرين، ومثل أخي وأختي الأكبر مني سنًا.

- كيف يا رقية؟ أنتِ تستحقين أن يساعدك الآخرون؟  
- لماذا يا جاسمين؟ هل يمكن أن تقولي لي كيف سأصرف عندما أكون بمفردتي؟ كيف سيكون حالي إذا لم يكن هناك من يساعدني لأي سبب من الأسباب؟

أخذتُ جاسمين تفكّر قليلاً فيما تقولُ رقيةً وهي في غاية الاندهاش، فرقية لديها إعاقة يمكن أن تمنعها من أن تفعل أي شيء لا تريد فعله، ويمكنها أن تعتمد على غيرها بشكلٍ كاملٍ، لكن ما تقوله له وجهة أيضًا، حاولت استيعاب الأمر؛ فها هي لا تعاني من أي إعاقة، لكنها تصر على أن حياتها ستتقلب رأسًا على عقب.

مضت رقية تقول:

- بأي حال يا جاسمين حاولي أن تفكري في الموضوع من زاوية أخرى، حاولي أن تقولي لنفسك: إن الحياة لن تكون بهذا السوء، والحياة الجديدة تستحق التجربة.

- وماذا يمكن أن يحدث إن لم يعجبني الوضع؟ أليس هذا واردًا؟  
- بلى هذا واردٌ، لكن كما قلتُ لك في البداية، الحياة لا تسير دائمًا وفقًا للطريقة التي نريدها.

..... -

- ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

كان هناك شيء ما بداخل جاسمين ما زال غيرٍ مقتنعٍ بما تقوله رقية، كان هناك جزء ما زال يقاوم فكرة تقبل الوضع الراهن، نظرت جاسمين في ساعتها ووجدت أن الساعة قد تجاوزت الثالثة عصرًا، وحان وقت العودة إلى المنزل، فهاتفت عم مصطفى وطلبت منه أن ينتظرها أمام البوابة الرئيسية، وهاتفت رقية شقيقتها بسمة كي تأتي لتساعدها في وسط هذا الزحام الهائل عند حديقة الحيوان، ووصل عم مصطفى بالفعل وهاتفها ليخبرها بوصوله، وقبل أن تخرج من البوابة، رأت بسمة وهي تأتي مبتسمة وكان يبدو عليها اللهفة الشديدة.

- مرحبًا، كيف حالكما؟ لقد أوحشتيني يا رقية.

- وأنتِ أيضًا يا بسمة.

- هل قضيتما وقتًا ممتعًا؟

- نعم الحمد لله.

- وأنتِ يا جاسمين؟ ما رأيك في هذا الحر وهذا الزحام؟

- أتدريين شيئًا يا بسمة؟ حاولتُ التقاطَ بعض الصور، وأفكر أن أعود مرة

أخرى لأزور الأماكن التي لم يتسع الوقت لزيارتها.

- هذه فكرة رائعة، ممكن أن نتفق للعودة مرةً أخرى.

- سررتُ جدًّا بمقابلتك يا بسمة.

- وأنا أيضًا. نراكِ على خير.

- مع السلامة.

ودعت جاسمين رقيةً وبسمةً وظلت تراقبهما من بعيد وهما تتجهان إلى البوابة، كانت تراهما وهما تتضحكان، ورأت كيف أن بسمة التي كان عمرها قريباً من عمر جاسمين تحب رقيةً جداً وتخاف عليها، وتحرص على كل ما يخصها بشدة، ولم تنتبه إلا وهي تقول لنفسها: "يا بختها!"

خرجت جاسمين من البوابة ووجدت عم مصطفى في انتظارها كالمعتاد، وحاولت أن تتخطى هذا الزحام الشديد عند البوابة، ووصلت إلى السيارة بسلام، ورحبت بعم مصطفى وشكرته على انتظارها طوال هذه الفترة.

## الفصل الثامن

في الطريق، ظلت جاسمين تفكر في كل ما قالته رقية، ولم تكن مقتنعةً تمامًا بما قالته لها، لكنها على الأقل أصبحت متقبلة لفكرة النظر للموضوع من زاوية أخرى، فحاولت أن تفكر في مزايا وجود شقيقة لها في البيت، حاولت قدر استطاعتها لكنها ظلت تقاوم.

"وصلنا يا جاسمين، أمك في انتظارك، إنها قلقة عليك"، هكذا استفاقت جاسمين من أفكارها بعد أن نبهها عم مصطفى إلى أنها وصلت إلى منزلها.

صعدت إلى منزلها وأخذت تفكر فيما قالته لها رقية، وفي تلك الليلة حلمت جاسمين حلمًا آخر، حلمت برقية مرةً أخرى وفي هذه المرة كانت كفيفةً، ولكنها كانت تمسك أيضًا بيد جاسمين، وتعبر بها الطريق، وبعد أن تعبر جاسمين، يأتي دور رقية لتمسك بذراع جاسمين لتساعدها في عبور الطريق، فاستيقظت جاسمين وهي لم تفهم هذا الحلم، ولا الحلم الذي حلمته منذ شهور، لم تدرك حتى الآن السبب الذي يجعلها تتعلق لهذه الدرجة برقية.

في الصباح شعرت جاسمين بقلق في المنزل، فخرجت مسرعة من غرفتها وقابلت أباها:

- صباح الخير يا بابا، هل هناك مشكلة؟
- صباح الخير يا حبيبتى، لا تقلقي، أمك على وشك أن تضع مولودها، ونحن نستعد للذهاب للمستشفى. أتحيين أن تأتي معنا؟

## رحلة جاسمين

- لا يا أبي، لن أستطيع أن أرى أمي وهي في هذه الحالة، لن أتحمّل رؤيتها وهي تتألم.

- كما تريدين يا بنيتي، سوف أجعلك مطمئنين عليها.

ودعت جاسمين أمها وهي تتجه إلى المستشفى، وعانقتها وطبعت قبلةً على وجنتيها ونظرت لها نظرةً كلها خوفٌ وهلعٌ، فقد كانت جاسمين تشعر بالخوف على والدتها، وفي الوقت ذاته لم تكن مستوعبةً بعد للوضع الجديد، ولا تدري كيف ستسير الأحوال.

قررت جاسمين أن تتصل بصديقتها جنى:

- ألو، مرحبًا يا جنى كيف حالك؟

- أهلاً جاسمين، أنا بخير، ماذا لديك؟ لماذا صوتك غير طبيعي؟ هل هناك شيء؟

انفجرت جاسمين في البكاء، مما أثار قلق جنى.

- اهدأي يا جاسمين، أرجوكِ حاولي أن تُفهميني ما المشكلة.

- أمي، أمي.

- مالها "طنط" ليلي؟! ما مشكلتها؟ هل أصابها مكروه؟

- لا، بل ذهبت لِتَلَد.

- "يا شيخة"، لقد أرعبتيني، لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام، فقط هذه أول مرة تمرين بهذا الموقف فلا تقلقي، لماذا تُحدثين مشكلةً كبيرة؟ ولماذا تبكين؟ أنتِ تُعطين الموضوع أكبر من حجمه.

شعرت جاسمين بإحباط شديد، كانت تتمنى لو أن جنى تفهمت مشاعرها أكثر من ذلك، وكانت تتمنى أن تسمع من شخص ما كلامًا يطمئنها، لا أن يشعرها بتفاهة مشاعرها، ففكرت أن تتصل بمنة، لكنها ترددت وفي آخر لحظةٍ قررت ألا تفعل؛ حيث إن منة لن تفهمها أيضًا لأنها تعرفها جيدًا.

كانت تريد أن تتحدث مع رقية، ربما يُمكنها أن تفهمها، لكنها لا تدري إن كان هذا الوقت مناسبًا، فالوقت ما زال مبكرًا نوعًا ما.

أحضرت جاسمين هاتفها المحمولَ وفتحت "ماسنجر" وأرسلت رسالة صوتية لرقية. قالت لها فيها:

"رقية، هل أستطيع أن أتحدث معك الآن؟ هل هذا وقت مناسب؟"

انتظرت جاسمين للحظات، ووجدت إخطار الهاتف ينبهها لوصول رسالة، تمننت من كل قلبها أن تكون هذه الرسالة ردًّا رقيةً على رسالتها، فتحت هاتفها ووجدت فعلاً أن الرسالة من رقية تقول:

"نعم يا جاسمين، أنا مستيقظة، لا مشكلة إن تحدثنا هاتفياً."

## رحلة جاسمين

سألته جاسمين برسالة صوتية أخرى "هل لديك هاتف أرضي؟ ربما يطول الحديث."

"نعم، لدي هاتف أرضي، وسوف أرسل لك رقمه، سوف أرد عليك أنا."

اتصلت جاسمين بالرقم الذي أرسلته لها رقية، ردت رقية على الهاتف، وحاولت قدر استطاعتها أن تطمئن جاسمين، وأن تجعلها لا تشعر بالخوف ولا بالهلع، وطلبت منها أن تدعو الله كي يحفظ أمها وتعود للبيت سالمةً، وطلبت منها أيضًا أن تحاول أن تشغل نفسها بأي شيء تحبه، إلى أن تعود أمها للمنزل بسلامة الله، وشعرت جاسمين براحة أكثر وودعت رقية وشكرتها على دعمها لها.

بعد مرور ساعات وجدت جاسمين هاتفها يرن. إنه والدها. شعرت بقلبها يدق بشدة، كان صوت دقات قلبها مرتفعًا للغاية، لدرجة أنها ظنت أنه لو كان يوجد أحد بجوارها لسمع صوت هذه الدقات.

ردت على هاتفها قائلة:

- آلو، بابا، ما الأخبار؟ هل أمي بخير؟ هل وضعت؟
- حبيبتي، أمك بخير الحمد لله، وسألت عنك عندما فاقت من آلام الولادة، أختك شرفتنا وأسميناها...
- رقية.. أريد أن نسميها رقية يا بابا.
- رقية؟ هذا اسم قديم قليلًا يا جاسمين، دعينا نناقش في هذا الموضوع عندما نعود.

- ومتى تعودان؟
- بعد ساعتين إن شاء الله.

تحب جاسمين كثيراً الاهتمام بالزينة والديكور، فقررت أن تُفرح والدتها عند عودتها، وشاهدت الكثير من لقطات الفيديو لتتعرف إلى أفكار للديكور وللزينة، فقالت: إن من الأفضل أن تعمل بنصيحة رقية، وتشغل وقتها بدلاً من أن تمضي كل الوقت في التفكير والقلق، وحاولت أن تحسب كم تبقى لها من الوقت، وما الذي يمكن أن تنجزه فيه، وأخذت تبحث في كل أركان البيت عن الأدوات التي يمكن أن تستخدمها لتزيين غرفة والدتها، وعرفت ذلك في انتظار أختها الصغيرة.

بدأت جاسمين بكل همة وكانت منهكة للغاية، وأخرجت من الأدراج الأقلام التي يمكنها أن تكتب بها بخط واضح على الورق الملون السميك، وانهمكت في قص الورق في أشكال قلوب ونجوم، وكتبت على كل قلب: "أحبك يا أمي"، و"حمدا لله على السلامة" و"أحبك يا أختي"، أما النجوم فلونتها بألوان متناسقة حسب لون كل نجمة، وشبكت النجوم في حبال، وعلقت الحبال باستخدام اللاصق.

"أخيرا انتهيت". هكذا حدثت جاسمين نفسها بعد أن انتهت من تزيين الغرفتين. "والآن سوف استخدم هذا المنفّاح لنفخ بعض البالونات وتعليقها أيضاً في غرفة أختي، (أختي) يا لها من كلمة لم يألّفها لساني من قبل، لكن لا بأس بها بأي حال."

طلبت جاسمين من عم مصطفى أن يبلغها بالهاتف عندما يقتربان من الوصول إلى المنزل؛ لأنها تريد أن تكون مستعدة، تريد أن ترتدي أفضل الملابس، وأن تستقبل والدتها أفضل استقبال، هاتفها عم مصطفى فعلاً وعلمت أنهم يوشكان على الوصول، وألقت جاسمين نظرةً أخيرةً على الغرفتين لتتأكد من جمال ما نفذته من زينة، وفتحت الكاميرا في الهاتف والتقطت صوراً للزينة وللغرفتين بعد تزيينهما. سمعت صوت الباب يُفْتَح، إنه محمد، يفتح الباب بالمفتاح حاملاً معه ذلك الشيء الذي يشبه الصندوق، ويضعون فيه الأطفال الرضع، أما ليلي فكانت تستنِدُ على يد محمد، وبدا عليها الألم واضحاً.

- مرحباً أمي، حمدًا لله على سلامتك.
- أهلاً حبيبتي.

ردت ليلي بصوتٍ خافتٍ للغاية؛ لأنها لم تكن قد تعافت بعد من آلام الولادة، وشعرت جاسمين بقليل من الإحباط؛ لأنها ظنت أن أمها سوف تقابلها بلهفة أكبر من تلك.

دخلت ليلي إلى غرفتها، ولم تنتبه كثيراً للزينة، فقد كانت متألماً للغاية، وألقت نظرةً شاملةً على غرفتها وأدركت المجهود الذي قامت به جاسمين، لكنها كانت في حالةٍ كبيرةٍ من الألم؛ بحيث لم تتمكن من التحدث كثيراً.

- سلمت يداك يا جاسمين.
- شكرًا يا أمي.

## رحلة جاسمين

توجهت جاسمين إلى محمد الذي كان يحمل الرضیعة في ذلك الصندوق، وفتح الغطاء الرقيق الذي كان يغطي وجه الرضیعة، وطلب من جاسمين أن تقترب لترى أختها.

اقتربت جاسمين من أبيها شيئاً فشيئاً، وكانت مترقبَةً جداً لترى أختها الرضیعة، فألقت عليها نظرةً متفحصةً.

"يااااااه! إنها صغيرةٌ للغاية، لا أتذكر أنني رأيت طفلاً بهذا الحجم قبل ذلك، أنا أخاف من الأطفال الصغار بأي حال، ولا أستطيع التعامل معهم. ياااااه! إن كل شيء فيها صغير جداً، وجهها، يديها وقدمها، ووجهها تعلوه حُمرة غريبة، وشعرها ناعمٌ للغاية، إنه شعور غريب جداً. كم أحببت هذا الكائن!"

- ما رأيك يا جاسمين؟
- إنها جميلةٌ يا بابا. أريد أن نسميها رقية.
- لماذا هذا الاسم؟ لا أعرف أنك تحبين الأسماء القديمة.
- أنا أحب هذا الاسم، وأريد أن نسميها هكذا.
- حسناً، سأخذ رأي أمك ونقرر معاً.
- حسناً يا أبي.

## الفصل التاسع

كانت الليلة الأولى ليلةً صعبةً حقًا؛ فلم تتوقف الرضیعة عن البكاء طوال الليل، وكانت ليلى مستيقظةً معها تحاول تهدئتها، ترضعها تارة وتارة أخرى تحاول أن تُهدِّدها حتى تُهدأ، وكانت تعطيها أحيانًا أعشابًا مهدئةً لكن دون جدوى، ظلت الرضیعة طوال الليل مستيقظةً، وكانت تجلس ليلى معها في غرفة المعيشة، وليس في غرفة جاسمين حتى لا توقظها، بينما تنام جاسمين بغرفتها في سبات عميق، ولم تكن تدري ما الذي يحدث في الغرفة الأخرى.

دقت الساعة العاشرة صباحًا، أخيرًا نامت الرضیعة بعد هذه الليلة العصبية، واستيقظت جاسمين، وأرادت أن تسلم على والدتها، وأن تطبع على وجنتيها قبلًا كالمعتاد عند كل صباح، فأتجهت إلى غرفة أمها لكنها لم تجدها هناك، وظلت تبحث عنها لتجدها هي والرضیعة في غرفة المعيشة، وكانت الأم تنام على الأريكة الموجودة بالغرفة، ومن الواضح أنها نامت قبل أن تدرك هي ذلك.

توجهت جاسمين إلى أمها محاولة ألا تحدث أي إزعاج كيلا توقظ أيًا منهما، ولأن ليلى نومها خفيفٌ جدًّا، فما أن طبعت جاسمين قبلتها المعتادة على وجنة ليلى حتى استيقظت وصرخت فيها:

"حرام عليك، لم أر النوم طوال الليل، حرامٌ عليك، أريد أن أنام!"

نظرت جاسمين إلى أمها في ذهول.

"ما هذا؟! إن أمي لم تتحدث إليّ بهذه الطريقة قط! لماذا تتحدث معي هكذا؟ أنا لم أفعل شيئاً، فقط كنت أريد أن أقبلها لأنها أوحشتني جداً وأريد أن أقبلها وأن أعانقها، كيف تتحدث معي بهذه الطريقة؟ لماذا تتعجل في إظهار تغير مشاعرها تجاهي؟"

أسرعت جاسمين إلى غرفتها، وانهارت باكياً على الفراش، وظلت تبكي وقتاً طويلاً إلى أن شعرت بإرهاق شديد ونامت من فرط تعبها، واستيقظت بعد الظهيرة على صوت أختها الرضيعة.

"أف. ما هذه الحياة؟ كيف يمكن أن أستمّر بهذه الطريقة يا ربي؟ ما الذي فعلته في حياتي؟ أنا تعيسة جداً. لا أستطيع أن أنام ولا أستطيع أن أعبر عن مشاعري لأمي، أنا لست سعيدة، أنا تعيسة جداً، ترى ما الذي يمكن أن تقوله لي رقية هذه المرة؟"

سمعت جاسمين صوت أمها يناديها من بعيد:

- جاسمين، أرجوك تعالي سريعاً.

- .....

- جاسمين، أين أنت؟

ترددت لحظة وكانت تفكر هل ترد على أمها أم لا، إنها غاضبة منها جداً وتريد ألا ترد عليها، لكن شيئاً ما بداخلها حثّها ألا تفعل هذا، وأن ترد فوراً.

- حاضر يا أمي، سأتي.

- جاسمين، من فضلك أحضري لي من غرفتكما الحفاضات وملابس نظيفة،  
إن أختك في حاجة إلى أن تغير حفاضاتها وملابسها.

"ماذا؟ أهكذا سريعاً أصبحت غرفتنا نحن الاثنتين؟ بدأنا المأساة."

توجهت جاسمين إلى الغرفة وأحضرت لوالدتها ما طلبته، وجدت أن أمها الآن  
تعمل بكل همّة ونشاطٍ لتغيير ملابس أختها الرضيعة، أما فُبلتها فجعلتها تصرخُ  
فيها كما لم تفعل من قبل.

"سنرى ماذا سيحدث غير هذا، أتمنى أن أختقي من الوجود تمامًا."

اتصلت جاسمين بوالدها وشكت له ما حدث، لكن محمدًا أخبرها ألا تحزن؛  
لأن ليلي مرهقة جدًا وما زالت تعاني من آلام الولادة، وطلب منها أن تتحمل وأن  
تكون على قدر المسؤولية، وأفهمها أنه سيطلب لهم جميعًا طعامًا من أحد المطاعم،  
وأنها لن تفعل شيئًا ذلك اليوم في المطبخ.

"الحمد لله، على الأقل لن أقوم بدور الخادمة اليوم، يا له من حظٍ عثِر! كنت  
الملكة المتوجة في هذا المنزل، الآن لا يشعر بي أحد، بل ويسئون معاملتي."

كانت الأيام تمر على نفس الوتيرة، ليلي مرهقة جدًا لأنها لا تنام في الليل  
جيدًا، صحيح بدأت تتعافى من آلام الولادة لكن مشكلة النوم ظلت مستمرة، وفي  
إحدى الليالي كانت أختها الرضيعة -التي اتفق الوالدان على تسميتها روان ولم  
يوافقًا على اقتراح جاسمين- مستيقظة طوال الليل، وحاولت الأم أن تنام في الوقت  
الذي لا تصرخ فيه روان، لكن جاسمين أرادت أن تسأل أمها شيئًا بخصوص

## رحلة جاسمين

خروجها هذا اليوم، كانت تريد أن تخرج لتزور صديقاتها، ولكنها نسيت أن تؤكد على والدتها قبل حلول الصباح، فأيقظتها من نومها:

- أمي، هل يمكنني أن أخرج اليوم وأزور جني؟ أمي. أمي. أريد أن أخرج.

فتحت ليلي عينها بصعوبةٍ شديدةٍ، وقالت لجاسمين:

- لا بد أن أحدهم سلطك عليّ، ألا تفهمين؟ هل أنت غبية؟ أريد أن أنام، حرام عليك.

فَعَزَّتْ جاسمين فَاها مِنَ المِفاجأةِ، فقد أَلجمتها المِفاجأةُ؛ لأن هذه هي المرة الأولى التي تصفها أمها بالغباء.

قالت جاسمين:

"لا يا أمي، أنا لست غبية" وهرعت إلى غرفتها، وهذه المرة لم تتَهَرَّ من البكاء، لكنها كانت تفكر في شيء مختلف، تريد أن تعاقب أمها على الطريقة التي تعاملها بها، وظل الوسواس يحدثها بأنها لا بد أن تهرب من المنزل كي تلقن أمها درسًا لتعرف أن هذه ليست طريقةً لائقةً للتحدث معها، وقررت أنها ستنتظر الوقت الذي ستنام فيه أمها وتتأكد من أنها نائمة، وستأخذ حقيبتها وتهرب من المنزل، لكن، أين ستذهب؟ من يُمكن أن يستوعبها ويستضيفها؟

## رحلة جاسمين

"إنها جنى، لا يوجد غيرها، سأذهب إلى جنى، إن "طنط" دنيا تحبني كثيراً وسوف تستوعبني، ولن أتصل بالطبع بعم مصطفى، بل أستقل سيارة أجرة وسأخذ معي ما يكفي من المال."

حضرت فعلاً جاسمين حقيبة صغيرة بها بعض الملابس، ملابس للنوم وملابس للخروج في حقيبة صغيرة، إلى أن تشعر أمها بغيابها وتبحث عنها وتعتذر لها عما بدر منها، وتأكدت جاسمين من أن أمها نائمة في سبات عميق، فأخذت مفتاح الشقة وتأكدت أن معها هاتفها وما يكفي من المال في حقيبة ظهرها، وفتحت باب الشقة، وقررت أن تخرج من المنزل ولن تعود إلا عندما تعتذر لها أمها وتشعر بالـ"جريمة" التي ارتكبتها.

نزلت من البناية واتصلت بجنى وأخبرتها سريعاً ما تنوي فعله، فحككت جنى لأمها بالطبع، وأفهمتها أمها أنها لا يمكن أبداً أن توافق جاسمين على هذا التصرف، وأنها سوف تبلغ ليلي عن مكان جاسمين، فوصلت جاسمين إلى منزل جنى وقابلتها دنيا وأفهمتها الوضع، فقالت لها أن هذا الوضع غير مقبول، ولا يمكن أن تساعدنا على مثل هذا التصرف الخاطيء، وسوف تبلغ ليلي على الفور. شعرت جاسمين بالخطر يتهدها، فخطتُها توشك على أن تقسد، ماذا تفعل الآن؟ ولمن تلجأ؟

"نعم، إنها رقية، لا يوجد غير رقية التي يمكن أن تفهمني وتستوعب ما أقول، كما أن أمها لا تعرفها أصلاً وهي لا تعرف أمها. إذا فهي رقية."

اتصلت جاسمين برقية. ردت عليها رقية بصوتها الهادئ المعهود الذي يمنحها الثقة والطمأنينة:

- رقية، أهلاً بك. كيف حالك؟
- الحمد لله يا جاسمين، أنا بخير؟ كيف حالك؟ وكيف حالك والدتك وأختك؟ لم نتواصل منذ يوم الولادة.
- رقية، أريد أن آتي عندك في المنزل، هل يمكنني ذلك؟ هل يمكن أن تصفي لي العنوان.
- نعم يا جاسمين، أهلاً بك.
- حسناً، أرسلني لي موقع بيتك على واتساب وسوف أخبر السائق به.
- حسناً، في انتظارك.

كانت رقية قد حدثت أمها عن مشكلة جاسمين، وعن الطريقة التي تنتظر بها للحياة، وكيف أن كل مأساتها حالياً أنها أصبح لها أختٌ جديدةٌ بعد كل السنوات التي قضتها كطفلة وحيدة، وفوجئت أم رقية بمطلب جاسمين، وقررت أن تُسرِع في تجهيز الشقة وتنظيفها وترتيبها سريعاً قبل حضور الضيفة التي تحضر لمنزلهم للمرة الأولى.

تمكنت جاسمين من التسلل خارج منزل جنى، حتى لم تذكر لجنى أي معلومات عن مكانها؛ لأنها لا تريد أن يُعسِدَ أحدٌ خُطتها، فهي مُصرّةٌ على معاقبة والدتها، فأوقفت سيارة أجرة، وطلبت من السائق أن يذهب إلى العنوان الموجود في الموقع الذي أرسلته رقية لها على الهاتف، ولم تكن جاسمين خائفةً بأي حال من هذه

## رحلة جاسمين

التجربة الجديدة، فهي للمرة الأولى تتركب سيارة أجرة بمفردها لهذه المسافة الطويلة، ولكنها بصفة عامة تتسم بالجرأة ولا تخاف بسهولة.

وصلت سيارة الأجرة إلى الموقع المذكور، وأعطت لسائق السيارة الأجرة المطلوبة، ونزلت من السيارة ومعها أغراضها، كانت بسمه أخت رقية تطل من الشرفة بناء على طلب رقية، وعلى الفور أبلغت بسمه رقية بوصول جاسمين، لكن معها حقيبة ملابس، فاندھشت رقية كثيراً لهذا.

## الفصل العاشر

كانت رقية تريد أن تكون أول من يستقبل جاسمين في المنزل، ففتحت لها الباب ورحبت بها ترحيبًا حارًا:

- أهلاً وسهلاً بك يا جاسمين في منزلنا.
- أهلاً بك يا رقية. شكرًا لك.

ارتمت جاسمين في أحضان رقية بصورة فاجأت كل من كان في المنزل، خاصة الأم، التي لم تفهم سبب تعلق هذه الفتاة المدللة برقية، وربت رقية على كتف جاسمين، وفي الوقت ذاته كانت تشعر بساقها وقدمها بوجود كتلة كبيرة بجوارها. قالت لها: "أرجوك يا جاسمين اهدأي. ما هذا؟! هل هذه حقيبة ملابس؟"

- إنها حقيبة ملابس.
- ماذا؟ هل تركت منزلك؟
- نعم.

وعادت جاسمين للبكاء، فأخذت تبكي وتتنحب بشدة.

- أرجوك يا جاسمين، أرجوك اهدأي حتى نستطيع أن نفكر.
- أحاول، حاضر.
- ما الذي حدث؟ هل تريدين أن نتحدث بمفردنا؟
- نعم، أرجوك، أريد هذا فعلاً.

أخذت رقية جاسمين إلى غرفتها وأغلقت باب الغرفة، وطلبت منها أن تحكي لها كل شيء، فحكّت الأحداث التي مرت عليها خلال الفترة الماضية، وكيف أن أمها أصبحت من وجهة نظرها شخصاً جديداً لا تعرفه، وأنها وصفتها بالغباء لأول مرة في حياتها، وأن الاهتمام كله أصبح منصباً في اتجاه أختها روان، أما هي فكأنه لا وجود لها، فأمرها لا تتذكرها إلا عندما تطلب منها شيئاً.

- أنا آسفة أنك تشعرين هذا الشعور يا جاسمين، لكن أمك بالطبع لم تتغير، هي فقط تمر بمرحلة مؤقتة، وبالطبع كل شيء سيتغير بعد حين.
- بعد حين؟ متى يأتي هذا الحين؟ ومتى تشعر أُمي بوجودي مرةً أخرى؟ هل بعد أن تتم أختي عامين مثلاً؟ هل عندما تدخل المدرسة؟ كل شيء بالطبع سيكون موجهًا لها هي، أما أنا فتتساني أُمي تمامًا، وكذلك أُمي.
- هذا ليس صحيحًا يا جاسمين، إنه فقط حب من نوع مختلف.
- .....
- أرجوك يا جاسمين، افهميني؛ هل تعلمين أن الحياة بها صعوبات ومشاكل أكبر بكثير من ذلك، وربما يكون هذا الموقف فقط مجرد تمهيد لما هو آتٍ في الحياة.
- صعوبة ومشاكل أكبر؟! ما الذي يُمكن أن يكون أكبر من تغير والديّ نحوي بعد أن كنت قرّة عينيهما؟

ترددت رقية لحظةً فهي لا تحب أن تتحدث كثيرًا عن آلامها وعن مشاكلها، ولا تحب أن تظهر في مظهر الضعف أبدًا، لكن جاسمين لا بد أن تفهم ما يدور

## رحلة جاسمين

في حياة غيرها من الناس، وأن هذه المشكلة -حتى لو كانت تشعر أنها آخر العالم- ليست مشكلة مقارنة بما يمر به الآخرون، وبالفعل فاجأتها بهذا السؤال:

- هل سبق لك أن قال لك أحدهم: أيتها العمياء؟ أو لو كنت ترين لكنت أدركت كذا وكذا؟

أصاب جاسمين الوجوم من كلام رقية، ولم تجد ما تقول ولم ترد.

- هل سبق لك أن ضحك عليك أحدهم؛ لأنك لم تكوني على دراية كافية بالمكان الذي أنت فيه فتعترت؟ هل سبق لك يوماً أن وجدت نفسك وحيدة رغم وجود ناسٍ حولك؟ هل سبق لك أن جلست مع أشخاص حالتهم غير حالتك، وكنت متأكدة أنهم يشيرون بأشياء لا يمكنك رؤيتها حتى لا تفهمي ما يقولون عنك؟ هل سبق لك أن وصفتك إحدى زميلاتك في المدرسة بـ"أيتها العمياء"؟ ثم كررتها عليك كل يوم حتى تكريه نفسك وحالتك، وربما حياتك؟

كانت الدموع تنساب من عيني رقية رغماً عنها مثل: مساقط مياه مدينة الفيوم، فلا هي شلالات قوية، ولا هي مياه جارية عادية، وكانت تنتحب؛ لأنها كانت تشعرُ بغُصةٍ شديدةٍ في صدرها، ووجدت هذه فرصةً سانحةً كي تعبر عن آلامها. ثم مضت تقول:

- هل سبق أن جهزت لك زميلاتك في المدرسة فصلاً سخيماً على سبيل الدُّعابة؟ هل سبق أن أصبحت الطريقة التي تشير بها زميلاتك إليك هي

## رحلة جاسمين

عبارة "هذه البنت العمياء"؟ هل سبق لك أن تعثرت في الشارع لتجدي أن كل من في الشارع يلتفت حولك و"يَمُصِّصُ" الشفاه عندما يعلم أنك كفيفة؟ أرجوك يا جاسمين، الحياة أصعب كثيرًا مما تظنين، وكما قلت لك قبل ذلك فهي لا تسير دائمًا كما نريد ولا كما نخطط

مسحت رقية دموعها بأناملها الرفيعة وكانت جاسمين تُنصت لها بكل كيانها، وكانت دموعها تنساب هي أيضًا، ولم تكن تتصور هذا الكم من الآلام يمكن أن يكون موجودًا لدى فتاة في عمر رقية، كما لم تفكر بالطبع في الحياة من الزاوية التي تتحدث عنها رقية، هل يمكن حقًا أن تكون هناك حياة بهذه الصعوبة والتعاسة؟!

ثم وجهت كلامها لرقية قائلة لها: "وماذا كنت تفعلين؟"

أجابت رقية: "كنت بالطبع أغضبُ للغاية وأحزن ثم أبكي، لكن والدتي قالت لي شيئًا جميلًا؛ قالت لي: لا بد أن تسامحينهنَّ، أولًا: لأنهن لا يدركن صعوبة ما تمرين به، وثانيًا: لأن لديك أشياء ليست موجودة لديهن، فلا بد أن يُشعرك هذا بأنك متفوقة، وأن لديك ما هو ليس موجودًا لدى غيرك من البنات."

أخذت جاسمين تتفرس في وجه رقية لتحاول أن تدرك ما هي مشاعرها في تلك اللحظة.

قالت جاسمين لنفسها: "لكن رقية تتمتع بحُبِّ والدها ووالدتها وإخوتها؛ إنها تعيش كالملكة في هذا البيت على ما تظن؛ فأخوتها يساعدها في كل شيء، ويتمنون رضاها دائماً."

وكان رقية كانت تخمّن فيما تفكر فيه جاسمين فقالت لها: "إياك أن تظني أن أمك أو أباك توقّفًا عن حبك، أو أن حبك لديهما أصبح أقل من الأول، أرجوك حاولي أن تدركي أن هذه الطفلة الرضيعة لا يمكن أن تعتمد على نفسها، وأنها لكي تعيش فهي في حاجة إلى رعاية مكثفة من أمك، هذا مجرد اختلاف مراحل، أنت الآن في مرحلة عُمرية تسمح لك أن تعيشي حياتك باستقلالية، فتستطيعين أن تحضري الطعام لنفسك، وأن تقومي بكل شيء، أما هي فلا، أرجوك ينبغي أن تدركي هذا."

أطرقت جاسمين، وشعرت بتأنيب الضمير قليلاً، لكنها سرعان ما عادت إلى مشاعر الغضب من أمها، فسألت رقية:

- هل هذا يبرر أن تصفني أُمي بالغباء؟ إنها لم تفعل هذا قط طوال الـ 12 عاماً، إلا عندما "سُرقت" هذه الرضيعة.
- بالطبع لا، لكن كوني على يقين أنها قطعاً كانت تفعل هذا دون أن تكون في وعيها، تخيلي نفسك محرومة من النوم لفتراتٍ طويلة، كيف ستكون حالتك؟

.....

- لماذا أنتِ صامتة؟ هل تقنعين بما أقول؟

- أنا صامته لأنني لا أستطيع أن أسامحها أبداً.
  - هل أنصحك نصيحة؟
  - تفضلي.
  - كلما شعرت بالحزن أو الغضب من أمك؛ لأنها تهتم بأختك الصغيرة أكثر منك افعلي شيئاً إيجابياً بدلاً من أن تضيعي الوقت في الحزن.
  - كيف؟ لا أفهم.
  - في أي موقف تشعرين فيه بالحزن لأن أمك لم تعد تهتم بكٍ مثلما كانت فافعلي شيئاً ما يساعد أحدهم؛ فيمكن أن تفعلي شيئاً لوالدتك، كأن تؤدي لها خدمة، أو تفعلي خيراً من أي نوع، كأن تعدي قائمة بالأشخاص الذين قد يحتاجون لمساعدتك في أي وقت، أو فكري في أفعال الخير التي يمكن أن تفعلها...
  - فكرة لا بأس بها.
  - بحيث كلما ضبطت نفسك وأنتِ تشعرين بهذه المشاعر السيئة فكري في عمل الخير فوراً.
- ثم غيرت رقية نبرة صوتها لتحدث جاسمين بقدر أكبر من الحزم، وقالت لها:  
"أرجوك يا جاسمين، ضروري أن تتصل والدتي بوالدتك لتطمئنّها عليك، فما فعلتیه لا يمكن قبوله، ولا بد أن والدتك ستجن من قلقها عليك."

أخذت جاسمين تفكر في حال أمها، فهي متأكدة بالفعل أن القلق سيقتلها، لكن الغضب في تلك اللحظة أعماها تماماً، فقد كانت لديها رغبة عارمة في الانتقام، وفي أن تؤلم والدتها كما تسببت في إيلاها.

لم تجد رقية رداً على كلامها، ولم تسمع من جاسمين أي شيء، وكانت على يقين أنها بدأت تفيق من حالة الغضب العمياء التي أصابتها، وأنها الآن في حال غير التي أتت بها، واعتبرت عدم رد جاسمين أو عدم اعتراضها أو مناقشتها في هذه المسألة موافقةً ضمنيةً منها كي تتصل أم رقية بليلى لتطمئنها على جاسمين. نهضت رقية من مقعدها وتوجهت إلى غرفة والدتها، وبينما هي تمشي سألتها جاسمين:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟
- سوف أذهب إلى والدتي لأحكي لها الوضع، وأطلب منها أن تتصل بوالدتك.

أطرقت جاسمين ولم تتمكن من الرد، فمضت رقية في طريقها، ودخلت غرفة والدتها وحكت لها كل شيء، وأخذت والدة رقية تهز رأسها يميناً ويساراً كدليل على عدم رضاها عن كل ما فعلته جاسمين، لكنها قررت بالطبع أن تتصل بليلى؛ لأنها تشعر جيداً كيف تشعر أي أم في هذا الوضع.

أخذت رقية من جاسمين رقم والدتها، وأخذت أم رقية تضغط على الأزرار الواحد تلو الآخر لتطلب الرقم، رن هاتف ليلى، نظرت إلى الشاشة فوجدت رقماً

## رحلة جاسمين

غير مسجل، قالت لنفسها ربما تجدُ في هذه المكالمة ما يشفي صدرها، فقد مضى عليها هذا الوقت الذي لا يتعدى بضع ساعاتٍ كالقرن، وكانت عاجزةً تمامًا عن التصرف، خاصةً بعد أن حدثتها دنيا والدةُ جَنَى، فهي لم تكن تعرفُ إلى أين ذهبت، ودار في ذهن ليلي كل الأفكار السيئة التي يمكن أن تخطر على بالها، فجاءها هاجس أن ابنتها ربما تكون قد خُطفت، أو أن أحدهم أذاها أو أنها تعرضت للسرقة، فربما يكون لص ما قد طعنها ليأخذ ما ترتديه من حلي ذهبية، وهي في المنزل لا تستطيع النزول بالرضيعة الصغيرة، واتصلت بالطبع بمحمد كي تخبره.

لم تتردد ليلي لحظة في الرد على الهاتف، فردت بلهفة قائلة:

- ألو.

- ألو، هل معي السيدة ليلي والدة جاسمين؟

أخذ قلب ليلي يدق بشدة؛ لأن هذه العبارة بقدر ما تحمل من أمل فقد أربعتها بشدة، فلا تدري ما الخبر الذي يمكن أن تحمله تلك التي تتحدث على الجهة الأخرى من الاتصال.

- نعم، معك، أرجوك، صارحيني، هل هي بخير؟ هل أصابها مكروه؟

- هي بخير تمامًا الحمد لله، أنا أتصل بك كي أبلغك أنها بخير.

- الحمد لله، أشكرُك كثيرًا، لا أعرف ما يمكن أن أقول، أراح الله قلبك كما

أرحتني، لكن اعذريني من أنت؟

- أنا والدة رقية صديقة جاسمين.

## رحلة جاسمين

- رقية؟ اعذريني؛ فأنا لا أعرف أن جاسمين لديها صديقة اسمها رقية...

سرحتُ ليلي قليلاً وهي تتحدث مع أم رقية، هي لا تعرف صديقة لجاسمين اسمها رقية، لكنها تذكرت للتو كيف أنها كانت تريد أن تُسمِّي أختها رقية ففهمت السبب الآن.

- حسناً، حسناً. بارك الله فيكِ. هل يُمكن أن أحدث جاسمين؟

- نعم بالطبع.

توجهت أم رقية إلى جاسمين في الغرفة التي تجلس فيها مع رقية حاملةً معها الهاتف، وطلبت من جاسمين أن ترد على والدتها فتمنعت جاسمين قليلاً، ثم رأت نظرة حاسمةً للغاية من والدة رقية لتحثها على التحدث إلى والدتها، فأخذت منها الهاتف ووضعتة على أذنها لكنها لم تقل شيئاً، سمعت ليلي صوت أنفاس جاسمين.

- ألو، جاسمين، هل أنت بخير يا بنيّتي؟

- .....

- جاسمين؟ هل أنت بخير؟ أرجوكِ طمئنيني عليكِ.

- .....

ثم انهارت جاسمين وأجهشت بالبكاء، ورمت الهاتف وارتمت بين ذراعي أم رقية، عانقت أم رقية جاسمين وفي الوقت ذاته تحدثت إلى ليلي وأفهمتها كيف أن جاسمين تشعر بالذنب لما فعلته، ولهذا لا تستطيع أن تتحدث معها، اطمأنت ليلي

## رحلة جاسمين

إلى أن كلام هذه السيدة هو الحقيقة، وأبلغت أم رقية بأن السائق سيذهب ليأخذ جاسمين ويعيدها إلى المنزل.

بعد بُرهة، وصل عم مصطفى بالفعل إلى المنزل بعد أن اتصل بأم رقية ليعرف منها العنوان، وتذكر عم مصطفى بالطبع الواقعة، وتذكر العنوان الذي أوصل إليه تلك الفتاة التي كاد أن يدهسها منذ شهور، لكنه تعجب كثيرًا من أن يجد جاسمين في منزل هذه الفتاة، لكنَّ عم مصطفى لا يحب أن يتدخل فيما لا يعنيه، فلم يشغل باله كثيرًا بهذا الموضوع.

## الفصل الأخير

وصل عم مصطفى إلى منزل رقية ورزاً على هاتف جاسمين ليبلغها بوصوله، كانت الساعة العاشرة ليلاً، وكان محمد والد جاسمين في اجتماع مهمٍ بالشركة التي يعمل بها، ولا يستطيع النزول لإحضار ابنته من منزل رقية، لكنه كان على علم بكل التطورات واطمأن أنها بخير.

استعدت جاسمين للنزول، وعانقت أم رقية طويلاً وشكرتها على كل شيء، وعانقت رقية أيضاً وطلبت منها أن تطلب منها أي شيء يمكن أن تساعد بها؛ لأنها تريد أن تفعل أي صنيع لها، أخذت رقية تفكر قليلاً وتذكرت أنها كانت تريد تحويل بعض الكتب لملفات صوتية؛ لذلك قالت لجاسمين على الفكرة، وأنها تريد تحويل بعض الكتب إلى ملفات صوتية، ويمكن أن تساعد في هذه المهمة.

نزلت جاسمين على سلم البناية إلى أن وصلت إلى الشارع، فوجدت في انتظارها عم مصطفى، وفتحت باب السيارة وركبت بها ورحبت بعم مصطفى قائلة:

- آسفة يا عم مصطفى أنك اضطررت أن تُحضرني في هذا الوقت المتأخر، آسفة على كل شيء.

شعر عم مصطفى بجدسه أن هناك مشكلة ما، لكنه لم يشغل باله، ولم يسأل جاسمين عن أي شيء، لكن جاسمين بادرت قائلة:

- تخيل يا عم مصطفى أن رقية، تلك الفتاة التي صدمناها بالسيارة منذ شهور أصبحت صديقتي! تخيل.

- هذا شيء رائع يا بنيتي، لكنه عجيب قليلاً، فأنا تعجبت من الفكرة.
- هي فتاة جميلة جداً يا عم مصطفى، أتمنى لو كانت صديقتي منذ زمن.
- لكنها أكبر منك قليلاً، أليس كذلك؟
- نعم، نحو أربع سنوات.

هذه المرة لم ينظر عم مصطفى لجاسمين حتى لا يتكرر ما حَدثَ مرة أخرى، وكان يكتفي بالنظر لها في مرآة السيارة، وأخذت جاسمين طَوَالَ الطريق ترسمُ سياريو لما يمكن أن يحدث عندما تعود للمنزل، فلا تدري كيف يُمكن أن تخرج من هذا المأزق، وهي تعرف جيداً أن والدها لن يسامحها بسهولة عما بدر منها.

"الحل الوحيد إذاً أن أعتذر بإخلاص، فربما حينما يرى أبي وأمي أنني آسفة حقاً عما بَدَرَ مني سيسامحاني، فأنا لا أعرف إن كانت أمي تعرف ما المشكلة أصلاً أم لا، فعندما قالت لي: "يا غبية" لم تكن مستيقظةً تماماً، لكني حقاً حزينة، لم يُهَيِّني أحدٌ أبداً في حياتي، لكن بأي حال هي أمي التي لا غنى لي عنها، أحبها ولا أتخيل أبداً ألا تكون علاقتنا على ما يرام، عليّ أن أحاول أن أتفهم هذا الوضع الجديد؛ لأنه سيكون أبدياً."

وصلت السيارة أخيراً إلى منزل جاسمين، صعّدت السلم، وفتحت الباب بمفتاحها، ظلت مترددة ولا تدري ماذا يُمكن أن تفعل حتى تجعل هذا الموقف العسير يمر بسلاسة، أوصّدت الباب وراءها دون أن تُحَدِّثَ صوتاً لعل أمها تكون نائمة، وتسَلَّتْ بهدوءٍ شديدٍ إلى داخل الشقة، فألقت نظرةً سريعةً على غرفة والدتها فلم تجدها بداخلها، وقالت: لا بد أن تكون موجودةً في غرفة المعيشة، فتسللت

## رحلة جاسمين

بهذوء مرة أخرى إلى غرفة المعيشة لتجد أمها مستغرقة في النوم والرضيعة كذلك بداخل مخدعها الصغير، فذهبت إلى غرفتها وقالت في سرها: "الصباح رباح".

استيقظت جاسمين صباحاً من طرُق الباب، فقد كان هذا أبوها يطرق الباب ليتحدث معها قبل أن يذهب إلى العمل، فلا يمكن أن يمر هذا الموقف مرور الكرام، فتَح الباب ودخل وكانت جاسمين مستيقظة:

- صباح الخير.
- صباح الخير يا بابا.
- كيف حالك؟ هل أنت بخير؟
- نعم الحمد لله؟
- ما معنى ما فعلتبه أمس يا جاسمين؟ أريد تفسيراً فوراً.
- حسناً يا بابا، أمي لم تعد تهتم بي، بل وشتمتني أمس وقالت لي: "يا غبية".

صمت محمد قليلاً وطلب من جاسمين إيضاح الموقف، فأجابته.

- كنت أريد أن أستأذن منها للخروج، لكنها صرخت في وقالت لي: "يا غبية".
- أنا أعرف بالطبع أنك لم تعتادي منّا هذه الطريقة في التعامل، لكن هل هذا مبرر لترك المنزل متسللة دون أن تبلغني أمك عن مكانك؟ هل تتخيلين كيف كانت حالتها؟

أطرقت جاسمين ولم تجد ما تقول.

- جاسمين، كوني على يقينٍ أنّ أمك لم تكن تقصد تمامًا ما تقول، وحاولي قليلاً أن تدركي الموقف الذي أصبحتِ أسرتنا فيه، ودعيني أخبرك بشيء؛ أتدريين يا بنيّتي، كنا ننتظر أن يرزقنا الله بطفلٍ آخر طوال السنوات الماضية لكن لم يحدث، إلى أن فوجئنا نحن قبل أي حد بأن أمك حامل بعد هذه السنوات الطويلة، هذا وضعٌ جديدٌ عليكِ وعلينا نحن أيضاً، فأملكِ نسيثٌ منذ زمن معنى أن يكون لديها طفل رضيع بكل احتياجاته ومتطلباته، الوضع ليس سهلاً وليس هيناً، أرجوك يا جاسمين كوني متحملةً للمسؤولية معنا.

- حاضرٌ يا بابا، سوف أبذل كل جهدي من أجل ذلك.

- أريد أن أقول لك شيئاً آخر، لا تحاولي ثانيةً أن تختبري حبناً لك، إذا تكرر مثل هذا التصرف فلن تحبي أبداً رد الفعل الذي يمكن أن يحدث، اتفقنا؟

- نعم يا بابا. أنا آسفة. أنا حقاً آسفة.

نهضت جاسمين من فراشها وعانقت والدها عناقاً طويلاً، ولم تفق إلا على صوت والدتها:

"هل يُمكنني أن أقطع لحظات الغرام هذه؟"

أنزلت جاسمين ذراعيها عن كتفي والدها، وهرعت إلى ليلي وارتمت بين ذراعيها  
وانهارت في البكاء:

سامحيني يا ماما، سامحيني. آسفة على ما فعلت أمس.

- سامحتك يا جاسمين، لكن أرجوك لا تفعلي هذا مرة أخرى.
- حاضر، أعدك ألا يحدث هذا أبداً.
- هل يُمكن أن أعرف لماذا تركتي المنزل أمس؟ ما الذي حدث؟
- يا ماما أنا لم أعتد منك أبداً الإهانة، صرخت فيّ وقلت لي: "يا غبية".

تعجبت ليلي كثيراً من كلام جاسمين وقالت في دهشة:

- أنا؟! متى حدث هذا؟
- أمس، كنت أريد النزول، وجئتُك لاستئذائك فصرخت فيّ وقلت لي: "يا غبية".

نظرت ليلي في عيني جاسمين مباشرة ووضعت يدها على وجنتيها كنوع من إظهار مشاعر الحب، وقالت لها: "حبيبتي، أنا آسفة، أنا فعلاً لم أكن في وعيي قطعاً، أنا منذ أسابيع لا أنام بشكلٍ كافٍ، وكنت على وشك الانهيار، أرجوك لا تغضبي مني وأنا أعدك ألا يحدث هذا مرة أخرى، فقط أطلب منك أنك عندما تجديني نائمة لا تحاولي إيقاظي؛ لأنني أنتهز فرصة نوم أختك كي أنام."

ها هي الكلمة مرة أخرى، "أختك"، يا لها من كلمة لها وقع غريب لم تعتدها جاسمين، لكنها قالت في سرها: "هذه كلمة لا بأس بها بأي حال."

## رحلة جاسمين

- بالمناسبة يا أمي، أين هي روان؟ هل هي نائمة في غرفة المعيشة.
- نعم يا حبيبتي. اذهبي لتلقي عليها نظرة.

توجهت جاسمين إلى غرفة المعيشة وكلها لهفة هذه المرة؛ فقد افتقدت هذه الرضيعة جداً، لدرجة لم تكن هي شخصياً تتخيلها، ألقت نظرة على المخدع الصغير ويا للصدفة، وجدت الطفلة الصغيرة تبتسم، صحيح أنها لم تتعلم بعد أن تركز نظراتها، لكنها وجدتتها تبتسم، فأخذت كفها الصغير في يدها وقبلتها قبلةً حانيةً.

سألت ليلي جاسمين مستدركةً أنها نسيت أن تتحدث معها في هذا الموضوع:  
"تعالي هنا يا جاسمين، من رقية التي تركت المنزل كي تذهبي إليها؟ هذه أول مرة أعلم فيها أن لك صديقة اسمها رقية، من هي؟"  
حكّت لها جاسمين الموضوع من البداية، وحدثتها عن الفتاة، وكيف أنها أصبحت تتعلم منها الكثير.

- أريد أن أتعرف إليها وإلى أمها يوماً ما.
- نعم يا أمي، أنا أيضاً أريدك أن تتعرفي إليهما.
- حسناً يا بنيتي، عندما أتمكن من الخروج ومعني روان يمكن أن نذهب لزيارتهم.
- هذا يا رائع يا أمي، نعم، هذا رائع، وهي فتاة رائعة.
- حسناً يا حبيبتي.

## رحلة جاسمين

حمدت جاسمينُ اللهَ كثيراً أن هذا الموقف مرَّ بسلام، وحاولت بشتى الطرق أن تنتظر لهذا الوضع الجديد في أسرتهم الصغيرة من زاويةٍ مختلفةٍ، وقررت أن تتنقَّذ نصيحةَ رقية لها، بأن تُعدَّ قائمةً بمن يُمكن أن يحتاجوا لمساعدتها، أو بأعمال الخير التي يُمكن أن تقوم بها، فكانت لديها رغبةٌ شديدةً في أن تساعد رقية ذاتها، وتذكرت أنها تحتاج إلى تحويل كتب معينة إلى ملفات صوتية.

أمسكت بهاتفها لتراسل رقية، أولاً: أرادت أن تبلغها بما حدث في المنزل أمس، ثانياً: أرادت أن تعرف منها أي الكتب التي تريد منها أن تحولها لملفات صوتية، فتحت جاسمين تطبيقَ فيسبوك لتجد رسالة من رقية تحاول من خلالها الاطمئنان على حال جاسمين، وأن الأمور تسير على ما يرام، كما وجدت أنها تطلب أن تساعد في تحويل كتاب "هيلن كيلر" إلى ملف صوتي حتى تتمكن من الاطلاع عليه.

لحسن الحظ وجدت جاسمين الكتاب متاحاً لدى والدها في مكتبته، وانهمكت جاسمين في قراءته وكلها لهفة أن تتم المهمة وترسل الكتاب إلى رقية، وطوال هذه الفترة وجدت جاسمين نفسها لا تفكر كثيراً في موضوع رومان ولا انشغال والدتها عنها، كل ما كانت تفكر فيه كيف يمكن أن تُنجز قراءة الكتاب في أسرع وقتٍ كي ترسله إلى رقية.

وفجأةً وجدت نفسها تتحدَّث بصوتٍ مسموعٍ قائلةً:

- لكنني أفقد عندما كانت أمي...!

رحلة جاسمين

فتذكرت ما حاولت الاتفاقَ عليه مع رقية، وواصلت تحويلَ الكتابِ إلى ملفٍ صوتي.

...تمت...